أشجارٌ لا تُنبتُ مُستَقيمةً

رواية

داليا قشطة

باقي
للنشر والتوزيع

المدير العام / أسماء محمد نافع
مدير النشر / محمد عبدالرازق

رواية: أشجار لا تنبت مستقيمة

تأليف: داليا قشطة

مراجعة لغوية: مها السيد

التنسيق الداخلي: صبرينة غلمي

تصميم الغلاف: أحمد الصباغ

رقم الإيداع: 7444

تدمك:978-977-85484-0-2

جميع حقوق محفوظة ©
لا يجوز، دون الحصول على إذن خطي من الناشر،
استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا المصنف، أو استنساخها
أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة
إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام
أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها

All rights reserved. No part of this book may be reproduced in any form or by any electronic or mechanical means, including information storge and retrieval systems, without permission in writing from the publisher,except by reviewers, who may quote brief passages in a review

المقدمة

الحبُ يَقْبَعُ داخل كل واحدٍ منا ،فقط يحْتاج للوقت المناسب ليظهَر للجميع .

في وحْشَةِ الأيامِ سيكون هو جِليسُك وأَنِيُسك ماتبقى من ذكرياته، ولكنْ احْذر أنْ تبيع حُلْمَك في صَخب المزاد وتكسر تلك المِشْكَاةَ بداخلك التي كانت تُنير لك الطريق. فالفِطْرَةُ الطاهرة التي تحملها إنْسانيَتُك هي مرساتك حين يْشتّدُ الموج، وغير ذلك عَبَث. سيمضي بك العمر تبيع الوهم وتشتري الفتَات.

قالوا عن الحب:

حين يصير المرء ذكْرى

أوْ حكاية ماضية

في رحلة النسيان

تَلْتَئْمُ الجروح وتَنْطَوِي

الأجراحُ تَبْقى في الجَوَانِح داميةً.

فاروق جويدة.

وكَذَا الحُب ضحكة وبكاء وكذا الدَّهر أُلفة وشتان

ابن هانىء

أنت القتيلُ بأي من أحْبَبْتُه ..فاخْتَر لنَفْسِك في الهَوى من تْصطَفِي.

ابن الفارض

الشيء الوحيد الذي يَنْمو مع السنين هو قدرتك على الانفصال لا على المقاومة.

تشيزاري بافيزي

كنْ معي

ولكنْ إلى متى؟

فكلُ الوعودِ تذهب سدىً

وكلماتُ الحبِ تموت مبكرًا

لن تُخالفْ العُرْف ولن تكون متفردًا

فذاك مصيرُ كلِ القصصِ

فالحبُ ناضجٌ بما يَكْفي

ليغادرَ السُّفْنَ الغَرْقَى

فلنْ يُقاوِمَ ولنْ يَبْقَى

أحْلامُنا مَكْتوفَة الأيدي

والدَّهْر سريعًا يَمْضِي

خُطَانا تَعْدوا للخَلْفِ

نُفَارِقُ حاملين الذكرياتِ

نُوقِد بوحْدَتِنا شُموعَ الأمنياتِ

يَعُودُ كلًا منا مرْتَديًا شجاعتُه

يَعُودُ لينزعَ ابْتِسامَتُه

يَعُودُ لِصَمْتِه وحديثِ نَفْسِه

كلُ ما هَو مُزَيفٌ خَلَعْناهُ على الأبْوابِ

وُقُوفُنا بَيْنَ الجُمُوعِ بِثَباتٍ

شُمُوخُنا وإنْ سَقَطْنا مراتٍ

ثَبَاتُنا عِنْدَ الوَدَاعِ

نَعُودُ لِنَتَكِىَء على ظِلِنَا كَالْمُعْتَادِ

نَعُودُ لِدَائِرَةِ الفَرَاغِ

لا أَجِدُك ولا تَجِدُنِي

قِصَةُ الأَمْسِ في طَيِّ النِّسْيَانِ

داليا قشطة

أَشْجَارٌ لا تَنْبِتُ مُسْتَقِيمَةً

النفس البشرية كالماء يظهر صَفْوُه وكُدْرَه للبصر بِسَهُولَة، وقد يختَلط علينا الأمرُ، فبعض المواقف قد تعيد تَشكيلنا. البعض لم يَعُدْ يحتمل ما يشتعلُ بِداخله والبعض الآخر يفشل في مواجهة الحياةِ؛ ولذلك نحن هُنا لمُسَاندتك فَلَسْتَ وَحْدَك.

كُتِبَتْ هذه العبارة على الحائط الخلفي للقاعة المغلقة ذات اللون السماويَّ، فحين تنظر للجدران تشعر بالراحة والاسترخاء لأبعد حدٍ، وتَظُن أنك تحررت من قيود العالم خلف تلك الأسوار.

جلس الجميع على هيئة حلقة مغلقة، الصمت سيد الموقف لم يتجرأ أحد على التعريف عن نفسه بل أظهروا جميعًا عدم الاكتراث، وانشغلوا بهواتفهم النقالة؛ حتى دخلت سيدة في الأربعين من عمرها تتمتع بجمالٍ هادئ أنيق كملابسها المهندمة. أغلقت الباب في بطءٍ شديدٍ كمن يخشى أنْ يُوقظ مريضًا من سُبَاتِه، سُمِعَ وَقْعُ خُطُوَاتها، تركت الحقيبة بجوار المقعد وألقت التحية بوجهٍ بَشُوشٍ؛ أجابوها مجبرين مُتَحَاشِين رفع أبصارهم لمواجهتها.

جلست في هدوء بإيماءة استسلام أو تعب كأنها عائدة من السَفَرَة التي لم تتمكن من القيام بها، ثم طلبت منهم إغلاق الهواتف بلهجة حازمة تُخالف ملامح وجهها المبتسم.

لبّي الجميع طلبها وجلسوا في يقظة لما تقول .

اليوم فقط استطيع التصريح بأنَّ: البعض منكم تَماثَل للشفاء بصورة كاملة والبعض الاخر يخْذُلني؛ لأنهم يجيدون الكذب على أنفسهم ولكنّني لنْ أَغُضّ البصر عن الانطوائية التي سيطرت عليكم؛ ولذلك اليوم جَلْسَتُنا مختلفة، فسأقرأ لكم من كتابي المفضل (أشجار لا تنبت مستقيمة) أربع روايات مختلفة في مضمونها، وعلى كل منكم في نهاية الجَلْسَة الإجابة عن سؤالي، وتدوين انطباعه، وأكثر رواية أثرت به.

أَوْجَسَ البعض منهم خِيفَةً لايعلمون مصدرها، والبعض كان يتمنى التراجع؛ ولكنهم قَصْرًا وافقوا.

أَوْمَأَ الجميع بالموافقة وجلسوا في وضع الاسترخاء تمهيدًا لانصاتٍ جيد.

كان عليهم الطاعة ليعودوا لصفوف الحياة من جديد.

أصبح لون الغرفة أقل سطوعًا وأكثر هدوءاً، وبدا صوتها العذب وكأنه صدى ذكرياتهم يتردد في أركان القاعة.

ساقُ الأعْرَجِ

الظلال السوداء تْصطَّفُ على جانبي الطريق ترْقُبْني كعادتها كل ليلة، بصيص الضوء داخلها لا يكفي ليظهرها، فتبقى سوداء مغلَّفة بالبرودة رغم امتلاء أركانها.

إنه ديسمبر الذي لا تقوى فيه أضواء المصابيح على تدفئة الشوارع أو المنازل فلا يظهر لونها الحقيقيّ..

اللعنة! حتى عُلْبَة السجائر عمرها قصير، وكأنها تتعمد قطع حبل أفكاري .

كل متعة نتلذذ بها يتناقص عمرها سريعًا بعد أنْ نعتاد عليها. كالعادة لم يغلق الحاج حسين أبواب دكانه، وهذا يعني المزيد من متعتي، قهوتي وسجائري...

- مساء الخير يابركة.
- يسعد مساك وصباحك .
- النَّوة شديدة يادكتور حرِّص على صحتك في البرد.
- أجابه رأفت بابتسامة ساخرة وهو يحدث نفسه(دكتور.)

دفع مايلزم لشراء البن والسجائر وهو يتأمل بنايته التي لاتختلف عن الأخريات مكونة من عشرة طوابق، جدرانها متماسكة يتخللها شروخ، كان يفسر رؤيته لها وهو صغير على أنها تتصدع نتيجة حزنها على كل ساكن كان يقْطُنها قديمًا وفارقها، وها هي تحت المطر يتساقط عنها بقايا طلاء السنة الماضية، ككل عام سيتم إعادة طلائها بعد مرور فصل الشتاء الذي يتعمد إظهار عمرها الحقيقيّ نازعًا عنها كل زينتها الرخيصة. دفع باب البناية بكل قوته محدثًا صوت صرير أخاف الفئران المختبئة تحت السلم، وبدأ رحلة الصعود لعالمه، استقبله قطه بلهفة، فلم يعتاد حتى الآن على غياب صاحبه.

خلع معطفه وأسرع لإطعامه، منزله مرتب بعناية لم يهمل يومًا تعاليم أمه ولم ينس لمستها في ترتيب وتنظيف البيت، ربما لمسة أمه هي السبب الخفي وراء طلاقه فلم تكن هاجر - زوجته - تشبه أمه في شيء، لم تكن تهتم بنظافة المنزل، لا تحسن ترتيب أغراضه مما كان يثير جنونه، لايتذكر للآن كيف وقع في فخ الزواج منها، فعندما يراها الآن يدرك تماما استحالة زواجهما، ولكنّ لغلطته ثمن ومَن يدفع الثمن: ابنه حازم. نالت هي كل ما أرادت حين تجرد من كل ما ملك بإرادته؛بغية الخلاص منها ومع هذا تتذمر دومًا من لقاء يوم الجمعة، تجلس كالصقر تَرْقُبهما

طـوال سـاعات الزيـارة، تصـطحبهما في أي مكـان لا تجعلـه ينفـرد بـه. أخرج بعض الطعام وهو يَزْفُر، فبمجرد أن يتذكرها يضيق صدره، تناول طعامه على عُجَالة، فكان كل ما يحتاج إليه كوب من القهوة؛ ليجلس أمام حاسوبه مركبته الفضائية للتحليق بعيدًا عن هذا الكوكب، فبدأ في الكتابة التي ما إن يبدأ فيها لا يتوقف.

دخل المحيط الأزرق باسم مستعار ووجه لا ينتمي له وحروف يُرَوِّضها؛ فيبهر متابعيه الشغوفين برؤية عرضه كل ليلة والذي ينتهي دومًا بتصفيقٍ حادٍ وكلمات مديح.

ولكنْ عرضه لا ينتهي بالتصفيق فقط، بل يغنم بالحب ففي كل ليلة يلعب إما دور الصياد أو الضحية، ويبدو اليوم أنه سيلعب دور الضحية فها هو يجيب على إحدى المعجبات على الخاص والتي تُسْرِع بالاتصال به لتسمع صوته؛

فقد تعلقت مثل الأخريات بذلك الفارس، الذي بِتَنَ يَرَوْنَه عازفًا ماهرًا يعزف على أوتار الروح.

يلعب دوره بإتقان فَيُظِهر لها نفسه الكاتب الغامض الذي تثير كلماته حواسها؛ مما يجعلها تسعى لإظهار أنوثتها؛ ليتعلق بها ذلك الفارس المُلْثَم

صاحب الروح الغامضة. فتعرض عليه رؤيتها وهي في الأصل تشتهي رؤيته، ولكنه يلعب بذكاء فهو يعرف متى يحرك البَيْدق ومتى يظهر الفارس فَيَتَذَرّع بعدم امتلاكه وسيلة لتراه، ولكنّه لا يعارض في رؤيتها فصاحبة ذاك الصوت الساحر لابد وأنها جميلة، وبتلك الكلمات الكاذبة المعسولة يشجعها لكشف الستار عن المستور.

صدَّقت حُجَته الكاذبة، وبثقة عمياء باتت تعامله معاملة الحبيب بينما كان يعاملها معاملة الجسد حيث لا يرى فيها سوى عناقيد شهوة تتدلى على شجرة عالية قد انْحَنَتْ له احترامًا؛ ليقابل ذلك الانحناء بقطف ثمارها بقسوة.

ثمن المتعة رخيص كلمات تتبخر سريعًا وعلاقة هشة لاشيء دافيء بها سوى تلك الشراشف على أسِرَّة الخيال؛

ليضمها لجَمْعٍ وافر من غنائمه السابقة. يتأمل وجهه يتحسس لحيته يُهَذبُها قليلاً يبتسم لصورته المنعكسة في المرآة حين يتذكر نظرات الممرضات له وهمسهم من خلف ظهره يمدحون وسامته وسمرة بشرته وطول قامته،يتوجه لمواجهة عمله بعد أنْ تحصن بالقهوة كل شيء مختلف بالصباح بداية من رائحة الهواء وشكل البنايات ووجوه البشر

حتى حركة المرور. ألقى بنفسه في أول سيارة محاولًا الاسترخاء فيَكْفيه ما سيلقى بمستودع النفايات كما يطلق على المستشفى الحكومي الذي يعمل به. امْتَعض حين رأى عدد سيارات الإسعاف التي أرْبَكَت العاملين بالمستشفى فلابد من أنه حادث كبير وهذا يعني المزيد من ضغط العمل والكثير من المهازل . حاول تجنب ثرثرة مدام مها رئيسة التمريض، ولكن هيهات فهي المُحَفز الأساسي لتناوله مسكنات الصداع، وكعادتها أبلغته بكل ما حدث خلال غيابه حتى حقيقة الحادث الذي تسبب بكل تلك الإصابات. بدأ في المرور بين أَرْوِقَة المستشفى، وعيناه كالعادة لا ترصد سوى السلبيات ينظر باشمئزاز للأرضية المتسخة بكل ما تتخيله بما في ذلك القطن الملوث بالدماء، ومع هذا مُلَئَتْ بالعشرات من أهالي المرضى ومخالفات لا حصر لها، وأَشْفَق على الفقير في بلاده الذي لا يمتلك رفاهية العلاج بأمان عاقدًا مقارنة بين ما يمر به الآن من نقص في الدواء وأكياس الدم وخلافه وما يجده في المستشفى الخاص الذي يعمل به ليلاً لا مجال للمقارنة هكذا نطق وهو ينظر للممرضات.

بوجُوهُهن العابسة وتَبَاطُؤْهن في العمل وإهمالهن للمرضى - ليس الجميع بالطبع ولكن الغالبية منهن - فَهُن السبب الرئيسي في تجنبه الإشراف الليلي. تبسم لإحداهن بخبثٍ حين أَوْقَعَتْ التقرير عمدًا لتلتقطه من بين

قدميه كاشفة جزءًا من عُنقها، وامتدادًا بما بين نَهْدَيْها، ولم تكن تلك الأولى، ولن تكون الأخيرة فما يدور ليلاً من أسرار المستشفى كسرقة الدواء والنوم خلال نوبة الرعاية وغيره وغيره..... ساعات طويلة انقضت وهو يعمل المطلوب منه مثل غيره (صمٌ بكمٌ لا يسمعون) لم يعلم متى فقد الاهتمام والقيم بأي مرحلة كُسِرَت ساقُ الشرف لديه.

انقضت الساعات اللعينة التي يُرَاقُ فيها شرف مهنته، وفي طريقه تَفَقْد بعض رسائله ليجد أشعار بفوزه بالمركز الثاني في مسابقة القصة تردد في البداية، ثم قرر الخروج من المحيط الأزرق لليابسة..
تَأَنّق كما لم يفعل من قبل وقبل نزوله قرر مراجعة أسماء الفائزين ولجنة التحكيم؛ ليحسن التعارف فاستوقفه اسم الفائز بالجائزة الأولى..... (حياة) عن قصتها (ماءٌ دافق)

انشغل عقله طيلة الطريق بتخيل الفتاة التي تكتب مثل تلك القصة بكل جُرْأَتِها في عرض أفكارها وأسلوبها في الكتابة، فلقد سلبت منه الوقت حين قرأ قصتها وأثارت فضوله كصياد قديم..

كان في حيرة من أمره أَيَكْشف عن شخصه لحظة دخوله؟، أم يتأنى حتى يَرْقُب الحضور ويتعرف عليهم؟ لربما وجد بين الحاضرين إحدى

ضحاياه، ولكن كيف سيتذكرهن وهو لم يلتفت يوما لرؤية وجوههن؟! هل هو مستعد الآن للكشف عن هَوِيَته الحقيقية بعد سنوات من الكتابة في الخفاء بوجه واسم مستعار؟!

تساؤلات كثيرة بعقله أخرسها رؤيته للقاعة المزدحمة بِأُنَاسٍ يبدو بينهم الأُلفة، يتبادلون الحديث يتناولون الأطعمة. أين هو منهم؟ تراجع خطوتين وفي تَقهْقره اصطدم بها؛ ليلتفت فلا يرى سوى عينيها التي احتلت وجهها الصغير بملامحه الدقيقة الرشيقه، شواطئ عينيها المتسعة أغرقته في الصمت فلم يَنْبَس بِبِنْتِ شَفَه، في حين بادرته هي بالاعتذار، وأكملت طريقها لتتركه يتأمل كل ما فيها:حذاؤها المرتفع ذو اللون الذهبي، وجسدها الرشيق بمنحنياته فَحَدَجَها بنظرةٍ طويلة رآها على إثْرِها عارية تتراقص أمامه بجسدها البضّ، وشعرها الطويل المنسدل على جسمها القصير من خلف رأسها؛ ليغطي صدرها ويتوارى خلفه عينا ذلك النَهْد المشدود فأدْبَرت. وهو لا زال يرى ذلك الجسد عاريًا، فتطاير شعرها للخلف حتى انتهى به أعلى أردافها المتكورتين تميلان حتى.. أفاق من شروده وتخيلاته وقد أخذته الشهوة كل مَأْخَذ وشعر برغبته فيها تفوق كل شيء، فعزم ألا يترك الحفلة إلا وهي معه لكنها اختفت.

أجبرته على الاندماج بين الجموع باحثًا عنها لينسج حولها شباكه، وبينما عيناه تتفقدان الحضور قطع الحفل صوت مكبر الصوت يدعو الجميع للجلوس، نَوّه المتحدث في المكبر عن أسماء الفائزين بداية من حياة ورأفت حتى الفائز الخامس ثم دعاهم للصعود إلى المنصة، وهنا وجد نفسه مجبرًا على الظهور على الملأ وفي طريقه للصعود وجدها هي حياة وكل مافيها حياة حقًا.

عادت رغبته للتَأجّج حين تبسمت له ومدت يدها لتحييه. جلسوا جميعًا وهو لا يرى سواها وكأنَّ الحضور لا وجود لهم داخل الصورة نرحب الآن بالفائزة الأولى حياة لتقرأ لنا جزء من قصتها (ماءٌ دافق) استقامت بثقة وسارت بخفة غزال ثم أمسكت المكبر وأردفت: أشكر جميع القائمين على هذه المسابقة وأشكر لجنة التحكيم والسادة الحضور، واسمحوا لي أن أشارككم جزء من قصة (ماء دافق). أمسكت الأوراق بيدها وقلّبت بعض الصفحات وباتت تقرأ " لم يكن يتخيل إبراهيم أنه قد يجاري عماد فيما يرغبه، فلطالما نفر من سلوكه وتصرفاته التي تدعو للتساؤل حول ماهيته كذكر أو أنثى، ولكن بداخله كان مجبرًا على صداقته؛ فهو الوحيد من أقارنه الذي يرتاح له ويفيض له بمكنون صدره ويزيح ستائر الحزن عن قلبه، لا يعلم أي شيطان

رافقه بتلك اللحظة التي ضم فيها عماد لصدره ليكن له بموضع الحبيبة!. ففي لحظة تدفق الدم الساخن بالعروق وارتفاع نبضات الفؤاد تَصُم الأذن عن سماع صوت الضمير؛ ليتدفق الماء الدافق مهدورًا في غير موضعه مخالفاً لفطرة ربه."

أنْهَت مقطعها بتصفيق حاد من الحاضرين وتوالى من بعدها قراءة النصوص الفائزة وتسلم الجوائز . تابعها رأفت في محاولة منه للتقرب منها وفتح أبواب للحديث، ولكنه وجدها تنظر له مباشرة وتقول: وأخيرًا عرفناك ياأيها القديس. وتبسمت.

تبسم كان يظن إنه من سيملك دَفّة الحديث، ولكنها بقفزة غزال بادَرته وأخذت تعرفه على الحَشْد حولها.

- تعرف اسم القديس هو اللي شجعني لدخول المسابقة ثلاث سنوات اسم مستعار وكتابات مبهرة أكتر حد كنت خايفة من منافسته. اعترض حديثها:
- ورغم ذلك كسبتي ..تعرفي صدمتني جُرْأتك في تناول موضوع الشذوذ.

- بدا المكان خالي إلا منهما، انفض الجَمْع من حولهما وهي لازالت تتحدث معه..
- فئة الشواذ موجودة في مجتمعنا وعلى نطاق واسع، كل صدمتك بس إني كبنت كتبت عنه ووصفت مشاعر الرجل. رأيي الشخصي يا رأفت إنْ الرجل يجيد التعبير عن مشاعر المرأة، والمرأة تجيد العكس، كل منا يقف خارج إطار الصورة فيستفيض في رؤية أركانها وشرحها بدون خجل.
- بتشتغلي إيه؟
- حاجات كتير تحب تنقي منها إيه.

ضحكت فأسرت شفتاها عينيه

- بشتغل مترجمة في دار نشر معروفة، وبكتب مقالات في الصحيفة الفرنسية اللي بتصدر كل يوم اثنين، وهوايتي التصوير الفوتغرافي وبنزل معارض بعرض شغلي.. لم ينصت من قبل لجمال يتحدث بلغة العقل والثقافة، ففي محيطه الأزرق يفرض كلمته؛ ليتلذذ بوجبته وصيده ولكن على اليابسة هاهو يلهث؛ ليحافظ على ثباته أمامها والوقت مازال

يمر من أمامه مبتسمًا كطفل يركب دراجته يدور حوله مستمتعًا بالهواء العليل وهو كسيح لا يملك غير تأمله.

تنبه لصوتها وهي تدعوه لفنجان قهوة

- قهوة...! ياااه
- إيه مش بتحبها؟!
- بالعكس ولكن دي المرة الأولى بحياتي اللي تمر أكتر من ساعتين من غير سيجارة وفناجين قهوة.
- ده أنت زميل على كده خلاص وأنا هعزمك على الاتنين.

أمسكت يده، وتركها تقوده لحيث تريد فقد أسلم للموج جسده. كان ذوقها رفيع في كل شئ: ملبسها عطرها حتى المكان الذي تتناول فيه قهوتها كان مبنيًا على الطراز العتيق، مزيج من الخشب والطوب اللّبَن غير متكلف في زينته، الإضاءة به خافته فتشعر بالراحة بمجرد الوُلوج بداخله، مقاعده عبارة عن أرائِك تجعل من الجلوس مع رفيقك متعة تقارب بينكما، وتجعلك مسترخيًا، ولكنه لازال يملك ذهن يَقظ وعقل ثعلب يُدَاهِن؛ ليصل لبُغْيَته وهي صيد يستحق الصبر الطويل.

- طول الوقت بتكلم عن نفسي وتفضل أنت محل الغموض زي ما أنت. ولا إيه يارأفت؟!
- آسف طبعا ماقصدتش أنا دكتور في الأصل والكتابة هواية، واختلاطي بعالم الأدب قليل ونادر تعتبر دي أول مرة أحضر حفل زي ده.
- وليه الاسم المستعار؟
- اعتبريه للشهرة.
- ولكن ليس على الأرض قديسون فزمانهم انتهى
- ربما كنت أتمنى أن أكون منهم.

عاد كلاً منهما لرَشْف القهوة على مَهل، والنظر للآخر من حين لآخر. لكنه للآن لم يسيطر على رغبته فجُمُوحه يظهر بعينيه يَرْقُب وجهها الصغير المنحوت بدقة وغمازتها التي تظهر على استحياء حين تضحك وشعرها المرسل بحرية لايخشى قيد وجرأة عينها وهي تحادثه العين بالعين.

هل نحن وجهان لعملة واحدة؟

- بتروح فين وأنت ضيفي ؟!

- لأ معاكي.
- طيب هات رقمك علشان أضمن أشوفك تاني في عالم الواقع.

أفصح عن أرقامه جميعًا، فكلما تقربت منه شبر تقرب منها ذراع تسرّع عند مغادرتهما بسؤال ساذج

- متزوجة؟

ضحكت من سؤاله وجاوبت بملئ فيها: شبه متزوجين. صدمته الإجابة ليس لكونها مرتبطة بآخر فهذا سيزيد لهيب المنافسة بداخله ويحفز الصياد على وضع فخاخه بدقة؛ لكن جُرْأتها فهي لم تتخفَ خلف الستار خوفًا من إصدار الأحكام عليها من مجتمع لا يرى إلا الدنس بكل علاقة.

عاد للبيت لا شيء برأسه سوى تخيل حبيبها وما يفعلان سويًّا، ولِمَ لمْ يحضر حفلها وكيف تكون معه في لحظاتهما الحميمية، وبدأ يراها كما يتمنى في ليلة مثل هذه فاكتفى بأحلامه ولم يعد لمحيطه الأزرق ونام باليابسة.

وكأن الشمس تبدلت فتبدل معها الصباح بأكمله..
أسرع للاستيقاظ قبل منبهه، فكُتِبت النجاة لهذا المسكين على غير

العادة، وبينما كان يسرع لارتداء ملابسه تَفَقّد هاتفه عشرات المرات؛ بحثًا عن رسالة منها أو مكالمة. فكّر كثيرًا في الاتصال بها، ولكنّه بذلك سيخالف أهم قواعده: لاقتناص الصيد عليك الجلوس بصمت. أتمَّ عمله بطريقة ديناميكية معتادة،لكنْ مَن حوله مِن الإناث شعرن بتغييره، فعيناه لم تعد تطاردهن بخبثها، أو تنشغل بتتبعهن. أبدل ملابسه، وقد تملكه الإحباط والغيظ معًا.

ولكن هاتفه صالحه سريعًا كانت هي.

- ميعادي مضبوط ولا لسه بتشتغل؟
- لأ. مضبوط. بس عرفتي إزاي إني بخلص في الوقت ده.
- أنت قولت.. وأنا منصت جيد. معنى كده ينفع نشرب قهوة دلوقتي.
- طبعًا بس تحبي نتقابل فين ؟
- بما إننا في عز البرد والشتا يبقى أكيد هنتقابل على الكافيه المفتوح اللي على البحر عارفه صح.
- أنت مجنونه.. هحصلك حالًا.

تمَلّكَت تفكيره ببضع كلمات: جنونها جُمُوحها جُرْأتها. يشعر كأنها الماء يقبض عليه بقوة فينساب من بين أصابعه سريعًا مُخَلِّفا له قطرات لا تَرْوِي الظمأ.

استقبلته بعيون لامعه شعرها غجري كعادته وأنوثتها تكشف عن نفسها رغم ملابسها الصوفية.

صافحته فأشعلت أناملها يده، نعومتها ودفئها جعلاه يتمنى لَثْمها بشفتيه.

جلس يتأملها بل يلتهمها يطارد تفاصيلها كذئب أنْهكته فريسته ركضًا

- بتكتب حاجة جديدة ولا؟
- لأ لسه عندي أفكار كتير بس لسه مش لاقي طرف الخيط اللي يوصلني.
- كل الكتاب كده تلاقي الأفكار بتتسابق، والفكرة المحظوظه بس هي اللي بتتولد، وتخرج للنور.
- ينفع أسالك سؤال؟
- طبعا
- إزاي بتلاقي وقت لكل ده؟

- شوية تنظيم وترتيب أولويات تعرف تعمل حاجات كتير.
- وحياتك الشخصية!
- عيشاها بدليل إني باكل معاك وبنشرب قهوة، وبندردش.

صمت ليُخفي غرضه من السؤال كان الفضول قاتله.

أين محبوبها من برنامجها اليومي؟ هل يكتفي بها ليلاً؟! لم يهاتفها ولو مرة، لا يرى بجسدها أثر لعاشق مجنون كما يَحِق لها.

- نفسي أعرف شرودك ده ليه؟
- معاكي..
- لو فاضي تحب تشوف الاستوديو الخاص بيا..
- طبعا...ياريت.
- هو قريب من هنا، تعالى نتمشى أنا بحب المشي جدا خاصة في البرد.

دفع الحساب وأمسكت بذراعه بتلقائية، اضطربت مشاعره كليًا بين السعادة والفضول، بين القبول والرفض، يتساءل بداخله عن عَفَوِيتها عن سر جُرْأتها عن مدى علاقتها بالرجل الآخر، وهل يقبل أن يكون طرف في معادلة بها آخر؟؟؟؟!

- وصلنا شوفت قريب إزاي.

قطع صوتها صراع أفكاره، ووجد نفسه بداخل شقة صغيرة في الطابق الأول من بناء يبدو حديثا. كانت الشقة مكونة من غرفة وصالة حوائطها مملوءة بالصور الأبيض والأسود، وصور شهادات تكريم معلقه على جانبي الممر المؤدي لغرفة عملها، والكثير من سيقان البامبو تزين جوانب المكان

- اتفرج براحتك هدخل المعمل أخرج صور وأرجع لك.

اقترب من الصور بحذر يحاول قراءتها ترتيبها للصور، لفت انتباهه فهنا في الركن المضيء من الحائط كانت صور عديدة لأطفال تتبسم من مختلف الطبقات بوضعيات مختلفة بريئة عفوية، وبنهاية الحائط وكلما خَفَتت الإضاءة بدت صورهم أكثر حزنا، يبدو عليهم المرض، والبعض التسول والبعض الآخر تقرأ في عينيه الضياع.

شعر بمرور غَيْمة بمِقْلتيه؛ تأثرًا بما رأى رفع رأسه ليقرأ بقية الصور بحثا عنها؛ ليجد التنوع والجنون، فهي تلتقط صور لكل شيء وأي شيء وفي لحظات جنونية.

أدهشه سرعه ودقه لقطة لقطرة ندى متساقطة من وريقة زهرة، وأخرى لعاشقين يتبادلان القبل فتظهر اللقطة تلامس ألسنتهم.

- عجبتك الصور ؟!
- -سحرتني. بجد فنانة.
- أكيد بتسأل عن السر ورا اللون الأبيض والأسود وليه مش بالألوان؟
- صح ..ليه؟
- شوف يا رأفت، الحياة أبيض وأسود، ودول أصدق منطقتين ممكن يتواجد فيهم الإنسان،بتظهر حقيقتك فيهم ملامحك بصدقها،مشاعرك وقوتها،الأراء واختلافها مواقفك في الحياة لكن الألوان بتزيف كل شيء بتزينه، فبتخفي الحقيقة وراها، وأنا أتعلمت أتقبل الأسود وأتعايش معاه وأسعى للأبيض وأتعامل بيه لكنْ زِيف الألوان بيتعبني، وبخاف من الناس الملونين، فهمتني.

جلس على المقعد كأنه وزير مغدور بلعبة شطرنج مات وهو يرقب تعرض الملك للهزيمة الكبرى.

جلس طويلا محدقًا للأرض، فكلماتها حملته بعيدًا لغابة من الوجوه رأى فيها الكثير ممن يعرفهم تذوب وجوههم تحت لهيب شمس حارقة، وكأنهم تماثيل شمعية. دار حول نفسه مرة وبينهم مرة؛ باحثًا عن شيءٍ ما، ربما ظله وربما وجهه ليرى صورته منعكسة على بركة ماء، فكان مسخًا لايحمل وجهه. جاء صوتها من بعيد وهي بالقرب منه..

- رأفت: فيه حاجة؟ سرحت بخيالك فين؟
- حياة.. أنت شايفة نفسك إزاي؟
- أنا بشوف نفسي زي الصورة دي.. شجرة نصفها مضيء وده اللي بيشوفه الناس ونصفها مظلم وده اللي بيشوفه ناس تانية. استحالة هرضي كل الناس وكلهم يشوفوني في النور طول الوقت، والأصح إني أكيد مش في الضلمة كل الوقت. تعرفي إني من زمان من وقت نسيت حتى كنت فيه إزاي كنت شبهك أبيض وأسود ولكنْ في يوم دخلت غرفة المكياج لعبت بالألوان في الأول كنت فاشل في استخدامها فكنت بظهر بلياتشو لكنْ بعدها أتقنت اللعبة وعرفت أخرج منها في كل مرة حد معرفهوش بقناع جديد لحد مانسيت في يوم أرجع لشكلي الحقيقي أو خلعته وضيعته وأفتكرته قناع. كانت تلك الكلمات تدور برأسه ولكنه لم يجرؤ على النطق بها أو ترديدها على مسامعها . هبّ واقفًا مُتَأهِبا للخروج فتحت له الباب وهي تَرْمقه بتعجب لا تعرف

سبب توقفه عن الكلام ولا سبب خروجه مسرعًا. أغلقت الشقة مصطحبة معها بعض الصور وضعتها على مهل بحقيبتها بينما كان يستنشق الهواء بملء رئتيه.

- أنا جاهزة تحب نتمشى ولا هتركب ونفترق . – لا نتمشى. أنت ساكنة قريب من هنا؟ - مش بعيد. يعني لو بتحب المشي زيي سهل نوصله. هذه المرة أمسك بيدها لتمسك بذراعه وكأنه يتكئ عليها لمسافات طويلة وهو صامت، ولكنَّ عقله لا يتوقف عن الثرثرة ذاك المزعج ذو الأفكار المنفرة. تارة يجعله يفكر في دفء جسدها الملاصق له ورشاقة خطوتها وملمس أنفاسها التي تلامس وجهه بين الحين والآخر؛ فيشتعل رغبة فيها، يشعر بالرغبة في عناقها أو تقبيلها أو....و أو..... وعدد لا حصر له من الصور الملحمية العشقية تتزاحم أمام ناظريه، وتارة يعود شبح ذاك الحبيب الغامض ليؤرق مخدعه فيوقظه من أحلام اليقظـــــــــــة .

رأفت: أنا وصلت تحب تتفضل تشرب قهوة. -- لأ شكرًا . لكن قهوتك المرة الجاية عندي لازم نتكلم تاني لإن الوقت معاكي بيمر بسرعة.

- اتفقنا. هنكون على اتصال وأكيد هنتقابل تاني. تبسم بخبث بعد أن أدارت ظهرها منصرفة فعرضه الأخير لم يكن بريئًا؛ فالصياد بداخله يراهنه على كونها مزيفة وسيكشف له زيفها قريبا.عاد

لمنزله بخُطى ثقيلة محملة بالأفكار، فهو لم يكن من قبل بهذا الضعف، يتملكه الفضول لخوض عالمها بأكمله، يغار من تفاصيل يجهلها يتقبلها بوجود الآخر.. مشاعر مضطربة تقتله فحاول التغلب عليها بالعودة لمحيطه الأزرق فالحياة على اليابسة مرهقة جدا.

خلع ملابسه وأشعل سيجارته وصنع قهوته على نار هادئة، وأخذ يكتب كما لم يكتب من قبل،ثم جلس ليتصيد فريسته كعادته ولم يخب ظنه، فسرعان ما تكالبت عليه الطير كالسمان المهاجر عندما يقع بشباك الصيد، فعاد للعبته القديمة بوجه مزيف جديد، وبينما هو مندمج في تناول صيده وجد عينيه ترى التفاصيل لأول مرة بغرفة الفتاة التي تحادثه فها هو ينتبه لذوقها في الألوان و ترتيب الفراش يلمح ابتسامة وجهها عند نطقه لكلمات الغزل؛ فتوقف عما يفعل وأغلق الاتصال وظل ينظر لنفسه بالمرآة المقابلة لفراشه وكأنه يرى شخص آخر لا يعرفه. يتساءل عن الذي يحدث له منذ متى يسمح لنفسه برؤية ضحيته وهو يتناولها منذ متى يشعر بهن ؟؟؟؟

اضطربت حاله وأخذ يتصبب عرقًا، نهض من فراشه مسرعًا؛ ليقف تحت الماء البارد وهو شارد فيما يشعر. كانت قطرات المطر تلامس جسده، وكأنها سياط تلهب ظهره تغير ملمس كل شيء حوله، ورأى وجهها يبتسم له بخبث المنتصر . خرج وهو عازم على الاتصال بها ليضع حدًا لتعلقه فهي لن تكون كما يتمنى ولا يوجد في الأرض من تستطيع تملكه.

هاتفها فأتى صوتها برقة فراشة ربيعية تظهر ابتسامتها مع كل حرف يخرج من بين شفتيها، عاد جسده يتمناها وفؤاده يزداد تعلق بها، لكنّ الصياد بداخله يأبى الاستسلام، فعاود يلقي بالطُّعم الذي تشكل من معسول الكلام والكثير من المديح والغزل ونهاية بكونه لا يستطيع فراقها؛ لأنها نادرة في فكرها وشخصها. ولم ينس بين كلماته المعسولة أنْ يدس لها السم، فعاد يكرر عرضه بتناولهما القهوة بمسكنه لترى أعماله.

على الطرف الآخر من الهاتف كانت تبتسم، تنصت بصمت، تسمع الكثير، وتجيب بالقليل وأغلقت وهي تلامس وجهه بصورة الحفل الذي جمعهما سويًّا، حاول تجنبها ونسيانها، وأخذ يستعطف يوميًا الساعات لتمضي سريعًا دون أن تخطر بعقله، وعمل بكل جدٍ وحزم، أيْقظ ضميره من سُباته العميق فَيَقَظة ضميره جعلته يعمل بنشاط ويعيد النظر في جودة ومصداقية عمله بالمستشفى، ولكنها لعنة الشغف والتعلق لا ليس حب فأنا لا أجيد الحب.. كان ذاك جزء من حديث نفسه الذي يُؤَرِقه ليلًا، كل يوم تنهار مقاومته بعض الوقت، فيغضب لاختفائها فيطغى عليه الصياد بشراهته للاقتناص، ويؤنبه لضعفه أمامها ويوسوس له بأفْخَاخٍ جديدة لصيدها.. حتى حدث مالم يتوقعه. ذات ليلة ظهرت من العدم أمامه حاملة بيدها علب طعام، وغيرها من الأشياء تقف في انتظاره أمام المستشفى، ومن شدة دهشته ابتسم بفرحة عامرة وأقبل عليها مسرعًا كاد من شوقه إليها أن يعانقها بالطريق

- كنت فين كل ده وحشتيني؟

- هحكي لك كل حاجة بس لما نروح البيت، عزماك على الأكل وعصير وعليك أنت القهوة.

استقل عربة الأجرة وهو لا يصدق ما يحدث، تختفي وتظهر من عدم بعدما يتملكه اليأس،عادت بعد أن تغير بداخله كل شئ. تبسم لنفسه في صمت في تعجب من أمره مرّ الوقت سريعًا فوجد نفسه أمام مسكنه صعدت خلفه في تأنٍ حتى وصلا... كان قلبه ينبض بقوة دقاته المتتالية جعلته كرجل مسن يتسلق تلّة. عند دخولهما شعر بحوائط البيت تحدق فيه بدهشة، فلم يروا من قبل أنثى حقيقة تدخل عالمه الواقعي خرج الضوء من الغرفة على استحياء، فقد كان القمر فضوليًا يُصَارع الشمس لتغرب؛ ليشهد هو هذا اللقاء، وكان لأول مرة يشعر بضيق شقته وهي التي كانت يرمح فيها وحده ويرى الفراغ بكل مكان، ولكن منذ دخوله معها وغَلْق الباب وهو كلما تحرك يصطدم بعينيها أو يلامس شعرها. أسرعت بوضع الطعام على المائدة والتعامل مع المنزل وكأنه لها وهو ضيفها .

- وشك كان حلو عليا من أخر مرة كنا فيها سوا، وأنا انشغلت بالتحضير لمعرض صور مهم جدًا، وده هلكني لإنه مطلوب مني شغل كتير في وقت قصير. يلا كل أنا متعودة أتكلم وآكل بنفس الوقت والأكل برد يلا .

كان منصت لها بكل حواسه،عيناه تتابعها وبين الحين والآخر يحاول لمس أناملها؛ ليثبت لنفسه إنها ليست بوهم، ولكن بداخله كانت هناك حمم تشق طريقها للخروج بعد أن تزلزلت مشاعره أخذت تطفو لأعلى رويدًا رويدًا. ما إن فرغا من الطعام ومازلت هي تتكلم وحدها وهو ينصت حتى نطق .

- فين حبيبك؟
- حبيبي !!
- أه إنتِ قولتي إنك شبه متجوزة يعني فيه حبيب وده السبب الحقيقي لإختفائك صح؟

بدأ الغضب بداخله يتصاعد. غضب الحب والصراع مع الرغبة ونتاج حربه لأيام مع الصياد بداخله وخوفه من ذكرى القذارة المتراكمة بسرداب ماضيه، فأخذ يصرخ فيها ثم أمسك بها وقبلها للحظة استمتع بذلك الإحساس حيث تتدفق بداخلك كل المشاعر متدافعه في سباق؛ لإرسال رسالة حب ونشوة للطرف الآخر في عناق بين شفتين يثير بالجسد كل ذرة، ولكنه دفعها معتذرًا مبتعدًا عنها خوفًا من أن يقنتصها صياده في تلك اللحظة.

- رأفت أنا مش بحب غيرك بس كان لازم تتغير علشان أقولك الكلام ده وأنت فعلا أتغيرت .
- وإنتِ تعرفيني قبل كده علشان تعرفي أتغيرت لإيه وإزاي!

- أقعد واسمعني جلس وهو لايعرف عن أي شئ تتحدث.

- من سنتين أو أكتر وأنا بتابعك في صمت وأتعلمت منك كتير وكل حرف بتكتبه كنت بتابعه، لكن في نفس الوقت كان الشط الأزرق اللي جمعنا هو اللي عرفني مين أنت، في يوم دخلت أتعرف عليك باسم وشخصية تانية ساعتها شوفتك على حقيقتك رجل أعرج بتكتب عن المثاليات وبتعمل عكسها بتظهر الرومانسية وجواك وحش، فقدت قيمتك في نظري يارأفت وبعد الموقف ده قررت أنساك، وأقول لنفسي ده حب أعرج من طرف واحد لكنْ لمّا شوفتك تاني في الحفلة تعمدت ألْفِت نظرك، أعرفك عن قرب أكتر أحاول يمكن أنجح، ولعبت بقوانينك كنت الصياد وأنت الفريسة، واللعبة نجحت بس الفرق بيني بينك إني مش بصطاد للتسلية أنا... بحبك وبس.. ولو على حبيبي فحبيبي الوحيد هو والدي.... ألقت بكلماتها على مسامعه وخرجت دون أن تسمع منه ردًا...جلس على مقعده فاقدًا إحساسه بالمكان والزمان، و يراجع كل ما مر به من سنوات؛ منذ أول حب صادق أُغْتِيلَت معه براءته وخيانتها له؛ فحفرت بفؤاده جُرْح لم يَنْدمل بالزواج بل كان السبب في خراب عشه الصغير الذي لم يصمد ثلاث سنوات أمام شكوكه وخياناته السرية والجهرية، وإن كانت عبر شاشة تضيء ليلاً باحثًا عن متعة مؤقتة هاجرًا فراش الحلال باردًا بلا حب، وبعد الطلاق لم يحاول الخروج من العالم الافتراضي فهو

لايبحث عن حب بل عن جسد؛ ينتقم منه وفؤاد يطعنه، وهاهي تأتي متسللة من محيطه الأزرق للبابسة لتخرجه خلفها ليرى حقيقته وعليه الآن الاختيار بين أن يبقى أعرج، أو يعتاد المشي باعتدال ليلحق بحب صادق لن يتكرر.

تمت

سكتت لبُرْهة؛ تلتقط من نبضهم انطباعهم ثم قالت:

قد تظن أنّ فؤادك غرف مهجورة بأرض فضاء،تشعر بداخلك بوحدة قاتلة؛حتى يأتيك الحب فحين يشع الضوء داخلك تزدهر الزهور بغير موسمها، وترى روحك تمتطي الأمطار؛ لتجوب بقاع الأرض مع من تحب تشعر بالدفء يسري في عروقك مع كل كلمة غزل ونظرة حب تنتصر روحك على الحياة برغم هزائمها المتعددة فتحتضن ذاتك لتنجو بها من سبات اليأس،

ولكنْ قد يضيع كل هذا هباءً إنْ كان الضوء عابرًا، ولا مكان في القصة للصدق.

حين انتهت من حديثها،

البعض أخفى وجهه خجلًا، والبعض الأخر لمعت دمعة بأحداقهم واستمرت هي في قراءتها دون اكتراث.

الملاذ

كانت تقف ملتحمة بشجرة السَرو، لولا معطفها الأسود لظن من رآها أنها فرع متمرد منشق عنها، أخفت وجهها بِقُبَعة جمعت تحتها شعرها البني تهمس باسمه؛ لتطمئنه أنها بجواره، نظراتها تَتْبَع التابوت الخشبي لو كان الأمر يعود لها لمَا وضعته داخل تابوت، تعرف جيدًا حبه للحرية ربما كانت حرقت جثمانه ونثرت رماده في نهر النيل، أو الفرات، فقد كان مُولعا بتلك الحضارات العربية القديمة، أو كانت دفنته بدون تابوت فهو من أحب دومًا ملامسة الأرض والشعور بها (منها خُلِقْنا يا ديانا) صوته يتردد داخلها يُؤْنِسها ويساندها حتى في هذه اللحظات. انتظرت حتى انصرف الجميع وهو جَمْع قليل كما تصورت ضمّ محاميه، ووكيل أعماله، وعامل المقبرة، والكاهن، وزوجته، وابنته. بسرعة كبيرة انفض الجَمْع بعد أنْ تمت المراسم، حتى الزهور كانت تُلْقَى لمثواها بدون وداع. الكل يريد الخلاص من الموقف لولا حُمْرة الخجل، وحين انفض المشهد التمثيلي اقتربت بِخُطى ثقيلة ينبض قلبها أكثر كلمّا أقتربت من مَرْقَده، تخونها مشاعرها، فترتوي الزهور بيدها من دموعها، وينصت المكان لحزنها قبضت الرمال بيديها وقبلتها مودعة حبيبها وأستاذها، أخرجت من معطفها تمثال صغير منحوتة بسيطة لوجهه وضعته بحرص فوق قبره، وزينت حوله بزهور الأوركيد زهرته المفضلة، أغمضت عيونها، وأسلمت للكون حواسها شعرت بدفء الأرض التي احتضنت جسده

برفق، وتنسمت الهواء الذي يمر فوقه بسلام حتى أصوات الرياح جاءت محملة بتراتيل الكنيسة التي على التل، تبسمت؛ لتذوقها قطرات المطر التي حملتها سحابة عابرة، فقامت وهي تنظر لملاذه الأخير مودعة إيّاه بقُبلة تعده فيها بأنها ستلحق به قريبا. قادت سيارتها وهي تنوي إكمال ما بدأته منذ شهر مضى، بل هي أكثر إصرارًا الآن على إنهاء ارتباطها بأي عمل، وحتى لوحاتها التي مازالت بالمعارض ستجمعها حتى لاتكن مضطرة لحضور أي ملتقى اجتماعي، فلقد كشف لها العالم وجهه القبيح اليوم فصديق العمر حاصد الجوائز، معلمها، والكاتب المشهور لم يحضر جنازته سوى أقرب المقربون وعلى استحياء كل هذا لماذا؟؟؟! اشتعل الغضب داخلها وهي تفكر فضغطت أكثر؛ لتزيد السرعة أكثر وأكثر، وكلمّا نفدت من منحنى موت، أو نجت بأُعْجُوبة من حادث وشيك تزداد داخلها اللذة طامعة في المزيد، وتذكرت كلماته حين كان يستشنق السحابة البيضاء كما كان يطلق على الأفيون (في كل مرة أنجو فيها من الموت بعد اعتلاء تلك السحابة أرفع سقف مراهناتي وأطلب المزيد) شعرت بلذة تحدي الموت حتى إنها أغمضت عينيها وأسلمت للطريق القيادة لاترى سوى عينيه المرهقة وهي تبتسم لها.

لإنَّ الهَمَ والحُبَ لا يتعايشان، كان علينا أن نختار، و اختيار الحب هو الأفضل. – نيكولو مكيافيلي

ترى جوزيف يتربع فوق سجادته الكاشان في وضع التأمل، تلك السجادة التي يعتز بها كثيرًا أعاد عليها قصة شرائها أكثر من مرة من ذاك البائع الإيراني قصير القامة، شحيم الوجه، الذي كان متجره ملاصقًا للفندق بأصفهان، وكيف كان كريمًا معه يسمح له بمجالسته يحاكيه عن صناعة السجاد وفنونه؛ جنونًا منه تواجده وقت الثورة فقد كانت المظاهرات ضد الشاه على أشدها في يناير ١٩٧٨، ولكنّه يسعى دومًا لمعاصرة الحدث ويلقي بنفسه في أتُون المغامرة. تذكرت المرة التي أمسك يدها وأغمض عينيها، وجعلها تتلمسها بحواسها تشعر بعدد عقدها ال٦٤ودفء ألوانها التي كانت مزيج من الأحمر القاني والأزرق الداكن، سرت بجسدها قشعريرة القرب منه، وشعرت بأنفاسه تداعب خصلات شعرها، وصوته وهو يحدثها عن كل لون تمرر يدها فوقه حتى همس لها استيقظي. فتحت عينيها بذهول وأوقفت السيارة بصعوبة بالغة جعلتها قوة المكابح تدورحول نفسها عدة مرات. أجهشت في البكاء وهي تتلفت حولها تكاد تقسم إنها سمعت صوته حقًا يُوقظها، ظلت بلا حراك مدة

من الوقت ثم عاودت القيادة بهدوء؛ حتى وصلت لمنزلها ولكنها فوجئت عند أعتاب الباب بضيف غير متوقع.

- انتظرتك كثيرًا.

- ولماذا؟!

- ألن تسمحي لي بالدخول أو تناول كأس!

فتحت الباب ووجهها لايحمل علامات الترحيب؛ فهي لاتستريح قط لهذا المُتَمَلِق، ولكنْ دارت برأسها عبارة: (لكي تعرف مايفكر فيه الناس حقًا عليك أن ترى أفعالهم لا أن تسمع أقوالهم)..... تركت له بداية الحديث بعد أن ناولته كأسًا من البراندي فرسم على وجه ابتسامته العريضة قبل أن ينطق:

- لطالما كنتِ فتاة ذكية، تقدمين لكل شخص مايحبه ولا يقاوم رفضه..

تجاوزت عن تلميحه الحقير، وأخذت تنصت له بعيونها كما علمها جوزيف.

فرك أنفه وهو يتكلم، وهنا أدركت أنه سيكذب.

- لقد أخبرني جوزيف أن مُسَوّدة كتابه الأخير محفوظة عندك بأحد الأدراج، والآن بعد موته المفاجئ عليّ الحصول عليه؛ لأعمل على نشره فهو آخر أعماله، وسيباع بالملايين تعلمين أنّ العالم

يكـرم الأمـوات أكثـر خاصـةً فـي حالـة عزيـزي جوزيـف، تبسمت في هدوء مصطنع وأجابت باختصار:

- ليس عندي.

قطَب حاجبيه بابتسامة ففهمت جيدًا أنه يُكذبها، ولكنّه يعجبه كذبها غادر في صمت ولكنّه عند باب سيارته قال لها:

- ستجديه وسأحصل عليه.

أغلقت الباب وهي تحاول طرد أنفاسه الثقيلة من منزلها لم ترض يوما عن عمله عند جوزيف، ولكنّه كان دومًا يرى أنّ مَنْ هم على شاكلة جون هم مَنْ يصلون لهدفهم في هذا العالم المزيف الذي يعشق المديح الكاذب عن العمل الصادق، وبالفعل فقد كان جون وكيل أعمال ناجح بمعنى الكلمة وروَّج كثيرًا لكتب جوزيف، وسيتاجر بموته الآن لتنال أعماله صيتا أكبر من ذي قبل؛ أسرع الطرق للوصول للشهرة هي الفضائح والإشاعات..

شعرت بدوار رأسها فيوْمها كان مرهقا للغاية، خلعت ثيابها وعمدت للماء ملأت المغطس، وجلست بلا حراك تراقب الشموع التي تزين حواف مغطسها، وملأت أنفاسها برائحة اللافندر المنبعثة منها فبدأت جفونها تغلق رويدًا رويدًا، وجدته يقف ممسكا منشفتها وهو يضحك: - يوما ما سأجدك ميتة داخل هذا المغطس، ولكنْ المؤسف أن غيري سيرى جسدك وهو عارٍ، وسيتلهف الألآف لشراء الجرائد لرؤية صور

الجميلة النائمة... فتحت عينيها، وخرجت من الماء تجفف وجهها الذي غمرته الدموع لمرور تلك الذكرى بحلمها القصير أوقعت منشفتها عنها، واحتضنت غطاءها صارخة بوجه وسادتها :

- لمَ ينتزعني من يد الموت في كل مرة وهو يعلم أني مقيدة بقيوده ماهي إلا أيام وسينتزع روحي دون رفق..

غطّت في النوم لأول مرة بدون مسكنات الألم التي أدمنتها، ولم تهاجمها آلام رأسها كما اعتادت زيارتها ليلاً ربما رفقت بها اليوم حتى أكثر الوحوش شراسة قد تمتلك الرحمة، ولكن الصباح لم يكن رحيمًا بها، فقد دقَّ الهاتف باكرًا؛ ليحمل لها صوت المحامي ماركس رسالة قصيرة مقتضبة: - بانتظارك في الساعة الثالثة بمكتبي؛ لفتح وصية جوزيف فتحت عيونها وأغلقت السماعة قبل أنْ تجيبه بكلمة فقد كانت الكلمات تتقاتل داخل رأسها لتخرج.

- أنا ولمَ أنا ومادخلي بالوصية؟!

عمدت إلى مدفأتها تتلمس منها الدفء، وارتدت ملابسها فبرودة الجو في ازدياد، أشعلت مزيدًا من الحطب ووقفت في انتظار قهوتها، غمرت رائحة البن حواسها فشعرت بالنشوة. عشرون عامًا مضت وهي مَنْ تطحن وتخلط مكونات البن خاصتها حتى جوزيف أدمن شرب قهوته من يدها تنهدت لا سبيل للهروب من ذكريات حبيبين.

قـررت التوجـه لمكتـب مـاركس ولكنَّهـا ستنصـت بـأذن جوزيـف (الحـواس تخـدع من آن لآخـر، ومن الحكمة ألا تثق تماما فيما خـدعك ولـو مـرة واحـدة) وحواسـي خـدعتني من قبـل في الحكـم على مَنْ كانوا حولـه.... ارتـدت فسـتانها بلـون الأبنـوس وعكفـت شـعرها فـأظهر عنقهـا وبـدت قويـة كجـذع شـجرة لاينحني نحَّـت كل الأفكـار جانبًـا، و توجهـت لمكتـب ماركس في الموعـد المحـدد فهي لاتريـد أنْ تبـدو كفنانـة بوهيميـة لا تحتـرم مواعيـدها مـا إن سـمحت لهـا السـكرتيرة بالـدخول حتى دلَفـت للمكتـب، فوقـف ماركس للترحيـب بهـا فلطالما كان دمِث الخلـق أجلسـها ولكنَّه قبل أنْ يبدأ كلامه كانت زوجة جوزيف قد حضرت هي وابنته ذات السـبع سـنوات، رحـب بهما وأجلسـهما ولكنَّهـا أشـاحت بنظرهـا بعيـدًا عـن ديانا، ولم تنظر لها قـط وظهر على وجهها ملامح الامتعـاض. شـعر ماركس بجـو التـوتر الـذي خيَّم على هـواء المكتـب، فحـاول إنهـاء مادعـاهم لأجلـه؛ كانت الوصية تسجيل صوتي فقام بتشغيله وطلب من الجميع ا لإنصات. أخـذت أنفـاس ديانـا تعلـو، وشـعرت بـالبرودة تسْـرِي في أوصـالها ودقـات قلبها تـزداد وهي تترقـب صـوت حبيبهـا ومـا إن سـمعته حتى لمعـت العيـون بمقلتيها، وبدأت تتساقط دون إرادة منها في حين كانت زوجته تفرك يديها بعصبية وتـوتر تريـد إنهاء هـذه الجلسـة (بدايةً فـأني افتقدك كثيرًا المكان هنـا مُوحِش بـدونك حبيبتي، وأفتقـد نظراتك البريئـة مـاري ابنتي الحبيبـة كنت أتمنى أنْ أكون أبًا مثاليًا لكِ ولكني كاتب، وتلك ياطفلتي مأسـاتي فلا تلوميني على جنوني فبعْضي منه أعلم برفضك للإنصات جورجيت ولهذا

سأختصر كلامًا كثيرًا بداخلي أوصي بأموالي لابنتي ستكون كوديعة لها يصرف منها على تعليمها.

حقوق بيع كتاباتي ستكون بيد ديانا، وقد جهزتُ كل مايلزم قانونيًا؛ لتتحكم هي في ذلك.

(الملاذ) مِلْك لديانا بكل مايحتويه، وكذلك مُسَوَّدة كتابي الأخير، ولكنْ يجب على ديانا إكمال الفصل الأخير فلقد توقفت متعمدًا عن كتابته؛ لتكمليه سيكون عليكِ المُكوث بالملاذ ستة أشهر ذلك رجائي الأخير لاترفضي مبيعات هذا الكتاب من حقك وحدك.

وقفت جورجيت في عصبية وهي تمسك بيد ابنتها تهمُّ بالإنصراف، ولكنْ ديانا أوقفتها حاولت تخبرها مع علمها برفضها لها ولوجودها في حياة جوزيف

- سألحق به قريبا وستكون أموال ابنتك تحت تصرفك.

ولكن جورجيت نظرت لها باحتقار تكذبها فيما تقول وأصرت على المغادرة.

انهارت ديانا وهي تنظر لماركس في حيرة:

- كيف سمحت له بفعل ذلك؟! أنت أصدق شخص بجواره.
- لم يكن بيدي منعه تلك رغبته.

- وأين هذا الملاذ؟ لم أعلم عنه شيئاً من قبل، وكيف يتوقع مني إكمال كتابه؟ أنا رسامة ونحاتة.

كيف يتوقع مني متابعة تعليم ماري وهو يعلم أن حياتي قصيرة مثله!!!! ما هذا الجنون ياجوزيف؟!

ناولها ماركس كأس من الماء محاولًا تهدئتها، ولكنْ محاولاته ذهبت أدراج الرياح فقد كان الصداع قد استولى على رأسها بالفعل، واحتلت الرجْفَة أطرافها، فتناول حقيبتها سريعًا وأخذ يبحث سريعًا عن دوائها حتى وجده وتناولت منه قرصين، ثم حملها للأريكة؛ لتشعر بالاسترخاء والراحة قليلًا. أغمضت عينيها محاولة الهروب من مطاردة وحشها الأسطوري ذلك الألم الذي صحبها متذ سنوات طفولتها. كان ماركس يجلس بجوارها يشعر بالرأفة نحوها فهو يعلم بمرضها ويشعر بفداحة خسارتها، فجوزيف لم يكن حبًا عابرًا في حياتها ولم تكن هي إحدى نزواته بل كانت علاقة من نوع خاص ونادراً لا تصادفه في الحياة كل يوم ترفع القبعة له احترامًا. كانت هي في عالم آخر في شارع الشانزليزه بفرنسا ترتدي فستانها الأخضر القصير يبرز جمال ساقيها، مسدل شعرها يحمله الهواء فيلامس وجهه ويرفعه بأصابعه وهو يبتسم لها، ويحتضن خصرها بحب، دخلا سويًّا لمقهى الزهرة البيضاء تعتبر ملتقى الشعراء والكتاب والفنانين من كل البلدان كانت ستحتفل هناك بنجاح معرضها الأول، أجلسها على قدميه وكانت الموسيقى تعزف نغم رومانسي خاص، ثم تناوب الشعراء في إلقاء الشعر، ولكنَّه وحده من استحوذ على اهتمامه

فرفع بصره عنها وأنصت له بحواسه كان عربي الأصل ألقى قصيدته بثقة وسط الحضور، وحاز على إعجابهم لفَّت انتباهها إعجابه به، فسألته عن معاني الكلمات فأعادها عليها وهو ينظر لعيونها التي تشع حبًا.

أُحِبُّك ضوءًا ينير الطريق
وجدتُ الأمانَ وعمري لديَّه
أحِبُّك درْبًا و نهْرًا طليق
ترَكْتُ ذنوبي على ضفَّتيَّه
أحِبُّك صُبْحاً برغْم الغيوم
أحِنُّ و أشتاق دوْماً إليه
عَشِقْتُكِ حلْمًا بغير انْتِهاء
وزهرًا وزرعاً وحُضْنًا وماء
وبحْرًا .. أهِيمُ على شاطئيه

ثم قبَّلها ومسح على شعرها ففتحت عينيها وقد زال الألم.

عزيزتي ديانا، يجب أنْ تعاودي زيارة الطبيب فأنت متعبة جدًا. نظرت لماركس بعيون مجهدة من سفر طويل وقالت:

- لم أرغب في الحياة من قبل إلا لوجوده فيها، ولا أرغب فيها الآن وهو ليس فيها.

ساعدها على النهوض ولملمَّت شَتات روحها، وعندما رآها تماسكت أخْرجَ لها سلسة من الفضة معلق بها مفتاح.

- هذا مفتاح الملاذ يوجد خريطة للوصول للمكان.
- هل تتوقع مني حقا المكوث هناك ستة أشهر وإكمال كتابه. هذا جنون أمسك ماركس بيدها وقال لها تلك رغبات حبيبك ياديانا..

أخذت المفتاح والخريطة وغادرت في صمت لاتدري مايخبئ لها جوزيف في جُعْبَته.. ما إن وصلت منزلها قامت بجمع كل مايلزمها وهاتفت صديقتها مونيكا؛ لتخبرها أنها ستسافر لفترة وأنّ أخبارها ستكون عند ماركس فهو من يعلم بمكانها. سافرت لفرنسا ومنها للجنوب الفرنسي منطقة الكوتيه دو زور مُتتبعة الخريطة؛حتى وصلت لقرية غورد. أهم مايُميزها وقوعها فوق تلَّة كبيرة، والبيوت هناك بُنِيَت من حجارة التلَّة تمتد حولها السهول والمزارع التي أبهرتها، وجعلتها تُوقِف سيارتها عدة مرات وهي تتمتع بمشاهدة مزارع اللافندر، والعنب والزيتون، وجوه الناس هناك مبتسمة، وتعرف السياح؛ لكثرة توافدهم. سألت عن مكان الملاذ ووجدته بمساعدة العامل بالبقالة التي توقفت عندها؛ لشراء ماتأكله. ما إن وصلت للملاذ حتى خُطِفَت أنفاسها لجماله،كان مبنيًا من حجارة التلَّة وحوله الزهور، والأشجار القصيرة، وله بوابة خشبية مفتوحة دخلت

منها ثم أخرجت المفتاح وفتحت الباب، كانت رائحة الزهور تملأ المكان، كان الممر الخشبي أمامها مُزين بزهور اللافندر على الجانبين، وعلى الحائط اليمين عُلِقت مرآة على شكل قرص الشمس، وعند نهاية الحائط وجدت مدخلها للبهو أرضيته خشبية حوائطه من الطوب، ثلاث نوافذ ملتصقه عليهاستائر من المخمل باللون الأحمر القاني وسجادته الكاشان تتوسط المكان، وأريكة ومقعدين، ومدفأة، ومكتبة كبيرة تشغل إحدى الحوائط، شهقت عندما رأتها فقد كانت تحتوي كل كتبه ومخطوطاته التي جمعها على مدار سنوات عمره الست وأربعين، والتي أخفاها عن جورجيت فقد كانت تتذمر من شغفه بالكتب وجمعه لها وترى أَنها مَضْيَعة للنقود، لفَّت نظرها وجود ظرف أصفر كُتِب عليه ديانا موضوع بجانب صورتها على المائدة التي تتوسط المكان فتحته فوجدت اسطوانات وجميعها مُرقَمة بحثت عن مُشغل الاسطوانات فوجدته بجانب المصباح وضعت أول اسطوانة وجلست لتنصت جاء صوته الدافئ؛ ليحتضنها في غربتها:

- حبيبتي ديانا بما أنك تستمعين لي الآن فهذا يعني أني ميت لا أعرف كيف فارقت الحياة هل انتحرت! قد يقودني جنوني لهذا، وربما قُتلِت لايهم حبيبتي.. الموت رحلة كنت أشتاق لها وشغوف باكتشافها.

هذا ملاذي وملاذك ستمكثين هنا ستة أشهر معي ومع عالمي فأنتِ لست غريبة عنه.

أعلم خوفك من وجود طابق ثاني ولهذا أخترت المنزل من طابق واحد لم تخبريني يوما عن سبب خوفك من وجود طوابق آخرى.. هل ستخبريني الآن؟! وحرصت على ألا يكون له سوى بابٍ واحد، حرصت على إغلاق الباب الآخر أُدْرِك جيدا مخاوفك صغيرتي. زهور اللافندر خاصتك وزهور الأوركيد تحيط بالمنزل؛ لتتمتعي بها تذكرين هذه السجادة جيدا فلم تملِّي يومًا سماع قصتي عنها وكثيرًا غفوْنا عليها... لو تجولتي بالمنزل ستجدين ثلاث من لوحاتك هيَّا تعالي معي؛ لنراهم سويًّا. قامت ديانا ودخلت أول غرفة كانت غرفة المكتب بها مكتبه من خشب الماهُونيَّ، ووجدت لوحتها معلقة خلف المقعد كانت محببة لنفسها فهي لوحتها الأولى التي شاركت بها في المعرض بإيطاليا، كانت لسيدة نصف وجهها شاب والآخر مُسن كانت تدمع عيناها كلَّما وضعت فيها فرشاة. صوته لا زالت تسمعه يوجهها؛ لتبحث عن اللوحتين، خرجت من غرفة المكتب ودخلت غرفة النوم كانت حوائطها باللون السماوي والسرير باللون الأبيض تظلله ستارة باللون السماوي، إنه نفس تصميم الغرفة التي قضيا بها أسبوعا في جزر الكاريبي تسمع صوت أمواج البحر يحيط بجدران الغرفة، تتنسم الهواء ذاته، تراه يقف مبتسما في أحد أركان الغرفة ينظر لها بحُب يَرْقب فرحتها، ووجدت لوحتها الثانية معلقة بجانب مرآة التزين كانت له رسمت فيها وجهه ذات صباح وهو شارد وضوء الشمس منعكس عليه، يظهر سمرة بشرته وقسمات وجهه تبرز فيها تكاد تلمسها، لم تنس تعليقه عليها عندما رآها أكاد ألمسني) رسمتي

مَن أفتقده معظم الوقت ديانا (دمعت عيناها وهي تخرج من الغرفة تبحث عن لوحتها الثالثة، وصوته يصاحبها:

- لا تحزني فعلت كل مابوسعي لإسعادك وليت عمري أمْهَلني القليل..

بحثتْ كثيرا لم تجد لوحتها الثالثة، ولكنَّه ظلَّ يردد لها في تسجيله:

(ستجدينها حين تعود لكِ ديانا).

جلست على الأريكة في ارتباك لاتفهم معنى جملته الأخيرة ساد الصمت، ثم عاد صوته: هذا يومك الأول لتستريحي ومِنْ الغد ستستمعي كل يوم لاسطوانة؛ لأساعدك على إنهاء الكتاب ستجدين المُسَوَّدة بدرج المكتب سألقاكِ غدا حبيبتي

ليس هناك ظلامٌ فقط عارضٌ حَجَبَ النور

مضى الوقت وهي تفرغ حقائبها، وبداخلها صوت يكرر عليها السؤال ذاته.... لمَ تخشين الطوابق؟ أتجيبه الآن وهو بعيد عنها، أخرجت صورة لهما سويًا قبَّلتها ووضعتها بجوار الفراش، وأخرجت كذلك أدوات الرسم وبعض الألواح وضعتها بغرفة المكتب، وألقت بكمية لابأس بها من المسكنات في إحدى الأدراج. شعرت بالوَهَن بِمُضي الوقت؛ فتناولت بعض الطعام وظلت تتأمل المنزل من حولها، كانت تشعر بالراحة والدفء بداخله، توزيع الاضاءة، وألوان الستائر، والأثاث كلها تمثل لوحة جميلة تعيش بداخلها مع حبها الوحيد، تصارعت بداخلها

الأحاسيس أعليها أن تكون ممتنة له لأنه أوجد لها ملاذ تموت فيه بسلام أم تشعر بالغضب لإنه يُحْيي بداخلها أمل التمسك بالحياة. حاولت الخلود للنوم ولكنها عجزت فتذكرت مُسَوَّدة الكتاب؛ انتابها الفضول فأخرجتها؛ لتقرأها جلست على الكرسي الهزاز بغرفة النوم وفتحت أول صفحات المُسَوَّدة كُتِب بخط أسود واضح

المِشْكَاة لندن سنة ١٩٨١

وما نحن إلا أغرابٌ داخل سفينة نوح ننتظر الطوفان

برغم الثلوج الكثيفة لم يتأخر لوقا يومًا عن عمله في الملجأ، فهو المتكفل بإطعام الأطفال هناك، ويعمل تحت يده ثلاثة طباخين مَهَرة يبذلون ما في وسعهم لإطعام هؤلاء المساكين، واليوم مميز جداً فهي ليلة عيد الميلاد صحيح أنَّ مايقدمه متواضع وليس مائدة فاخرة ولكنَّه المتاح، ولوقا ساحر في تحويل الخامات المتواضعة لمائدة عامرة. عند وصوله تعثرت قدماه بطفل ترتعش أوْصاله من البرد الشديد لا يحميه معطفه من غزارة الأمطار، حمله لوقا ودخل به مسرعًا وهو يصرخ في العاملات بالملجأ تجمعن فأخذن منه الطفلة ذات الثلاث سنوات، ونزعن عنها ثيابها المُبللة وقُمَن بتغطيسها في المياه الساخنة في محاولة منهن؛ لتدفئتها وإعادة الحرارة لأطرافها المتجمدة، وقمن بتمريضها، ورعايتها وسهرت

على راحتها الأم إليز، ولكنَّه في الصباح كانت تحتضنها وتجري بها حتى دخلت غرفة الطبيب وظهر على وجهها معالم الدهشة وهي تضع الطفله؛ ليفحصها الطبيب وعرف سبب تعجبها فالطفلة عادت لها حيويتها سريعا وتعافت كانت ذات وجة مبتسم وجمال آخاذ وموشوم ظهرها بكلمة (مشكاة)، سعد لوقا كثيرًا لأنها نجت من الموت وشعر بأنها إحدى هدايا عيد الميلاد، انضمت الطفلة لأقرانها وبدأت في تعلم الكلام وكونت صداقات مع من حولها، ولكنَّ أقربهم لها كان (القديس) ذاك الطفل الذي ترجع أصوله للهند، وامتاز بسمرة بشرته وشيئا آخر، فقد وُلِد أعمى البصر نتيجة خطأ أثناء الولادة توفت أمه بمشفى سانت تريز، ولم يُعرَف له أقارب فانضم لأطفال الملجأ، والذي رافقها نفس الغرفة التي تضم عشرين فراشا نوافذها العلوية تسمح بمرور الشمس والهواء النقي، وهناك ثلاثة مكاتب وفراش تتناوب عليه أمهات الملجأ في نوبة سهرهن مع الأطفال بخلاف غرف نومهن، مرت السنون وهو لا يُحصي بعد حتى صار بعمر السبع سنوات كانت (هيلانا) في ذلك الوقت قد علَّمته الكثير، فبرغم أنها تصغره بخمس سنوات إلا أنها الوحيدة التي استطاعت شق ظلامه والدخول في تلك المتاهة معه فقبْلها لم يجرؤ أحد على تعليمه حرفًا، فقد كان عدوانيًا متمردًا يخاف كل شئ هي وحدها من قصَّت عليه قصة الليل والنهار من وحي خيالها، ووصفت له دفء الشمس وبرودة القمر كان ينصت لها بالساعات علَّمته بِفِطْرتها الكثير من الأشياء، كان يعرف من ملمس الأشياء ماهيتها حتى الملجأ بغرفه

المتعددة كان يعرف كيف يسير بداخله. هي بالنسبة له عصاه ومعلمه الأول. في ذلك اليوم وقفت الأم إليز تَرْقُبها وهي تعلَّمه الألوان، وتشرح له كل لون كانا بعمر الخامسة عشر، فكرت هيلانا في صنع قوالب من الشمع جعلت بعضها ساخن والآخر بارد وجلست تشرح له كل لون والحيز الذي يشغله في الحياة، وبدأت بالأزرق لإنه يُشكل ثلاثة أرباع مساحة كوكبنا، وهو سبب الحياة لنا، وانتقلت للأحمر فهو الحياة تَسْرِي في عروقنا ودفء نبضنا يعني أننا على قيد الحياة، ولم تعجز عن وصف الأسود فهو الغطاء الذي يكسوعينيه طوال الوقت، وانضم معها لتعلم الموسيقى والغناء فقد كانت هي ذات مواهب متعددة محبوبة من الجميع شاكرة لوجود القديس في حياتها...

كانت الصفحات تنساب من بين يدي ديانا في سلاسة، تقرأ دون توقف شَغَفها يزيد كلما تخيلت القديس ذا الشعر البني والبشرة السمراء و هيلانا تلك الفراشة التي تضجَّ حيوية حتى تكاد تلمسها أو تبتسم لها، وتخيلت لو كانت أنجبت طفلة كانت ستشبه جوزيف في طباعه وتشبهها في الشكل أو العكس ولكنها كانت ستكون زهرة نبتت من حبهما.

طُــرق الأحــلام مُمَهــدة وطُــرق الواقــع وَعِــرَة.

شعرت عيونها بضوء الشمس يتسلل ببطء، ليوقظها فقد وجد طريقه للغرفة عبر ستائرها، ولكنها قاومته فهي لم تقض وطرها من النوم، لا تريده أن يفارق عيونها، ظلت متمسكة بإغلاق أهدابها عليه، ونهضت بأعجوبة من على الكرسي الهزاز؛ لتلقي بجسدها على السرير لتكمل حلمها، فقد كانت تلاعب طفلتها تمنت لو رُزِقَت بها اسمها روزنامة تضحكان سويًّا وهما يلعبان الغميضة، وها هو جوزيف يَرْقبُهما وعلى وجهه ابتسامته الخلابة التي وثب لها فؤادها من أول نظرة، ولكنَّه بدأ يبعد ويشيح بنظره بعيدًا.....

هنا فتحت عيونها في محاولة منها للحاق به وجدته يقف في الزاوية. هل هو حقا؟ تراه يقف بكامل هيأته حتى أنها قفزت باتجاه الزواية ظنًّا منها أنه سيحتضنها في عناق حقيقي، ولكنْ هواجسها تبددت فخارت قواها ووقعت على الأرض تبكي وهي تحتضن نفسها وتصرخ لعله يسمع:
- اااه كم أفتقدك..

مضى بعض الوقت قبل أن تتمالك قواها فأخذت منشفتها وتوجهت للاستحمام ولكنها رأته مرة آخرى من وراء الزجاج برغم البخار

المتصاعد، فخرجت مسرعة ولكن للمرة الثانية يتبدد أملها جلست في غرفتها على الفراش تُحَدِق في الغرفة لساعات تحادث نفسها بصوت مسموع:

- لقد بدأ الأمر في الحدوث، ولابد أنه سيزداد سوءً سيكون مصيرك مثله لكني لن أعيش لتلك اللحظة سأنهي الأمر بيدي

توجهت لغرفة المكتب تبحث عن مسكناتها لا تتذكر بأي درج ألقت بها.. لا ليست هنا ولا هنا توقفت حين لمحت الظرف الذي به تسجيلات جوزيف أخرجت الشريط الثاني وقامت بتشغيله وجلست تستمع له:
- صباح الخير جميلتي، أرجو أن تكون ليلتك الأولى مرت بسلام برغم علمي بفضولك وأنك لابد وقد قرأتي جزء من مُسَوَّدة المشكاة؛ ولهذا سنبدأ في العمل من اليوم عليكِ بتناول الإفطار الجيد، وبعد ذلك توجهي للحديقة واجلسي على الأرض واغمضي عينيكِ وانصتي للكون حولك، وبعد نصف الساعة اكتبي إحساسك وانطباعك عن تلك التجربة، ولكن بشرط صفِّي ذهنك كليًا وانصتي للعالم حولك واستخدمي كل حواسك. هيَّا سأنتظرك وسنعاود الحديث بعد عودتك.

قامت وقد غمرتها الدهشة ونسيت تماما أمر المسكنات وعمدت لارتداء ملابسها، وتناولت فطورها بالفعل كما طلب منها ثم خرجت للحديقة كان الوقت منتصف النهار.

كانت أزهار اللافندر مزروعه بشكل دائري، أما الأوركيد فكانت على الجانبين، والسياج الأبيض يحيط بالحديقة والعشب الأخضر نديٌّ، فقد رواه البستاني من أربع ساعات أو ثلاث وأزْجُوحة بيضاء بالقرب من المدخل يظللها فروع شجرة الصنوبر، جلست في وضع الاسترخاء تعلمته من دروس اليوجا التي كان يمارسها باستمرار وكانت تكتفي بأن تراقبه وهو يطفو في عالمه.

وضعت يديها بجانبها؛ لتلمس الأرض، وأغمضت عينيها وأخذت نفسًا عميقًا وسلمت حواساها الواحدة تلو الآخرى للطبيعة حولها، في البداية كانت تسمع صوته وتراه وترى صور كثيرة متداخلة، ولكنَّها رويدًا رويدًا قامت بتصفية ذهنها تمامًا، وتوحدت مع الكون حولها فصار جسدها خفيفا كالهواء يكاد تشعر به يميل ويتحرك مع نسمات الهواء، وكانت أذنها تنصت لأبعاد أخرى فهي تسمع حركة النمل وهو يسير على جذع الشجرة، وتسمع وَقْع أقدام العصفور حين وقف على السياج الأبيض، حتى قطرة الندى المتساقطة من بَتَلات الزهرة، كانت تشعر وكأنها ورقة

شجر سقطت توّاً من إحدى فروع شجرة الصنوبر ملقاة على ظهرها تَرْقُب العالم الواسع من حولها؛ ترى تلبد الغيوم وتزاحم السحاب بالسماء ترى السحابة حُبْلى بالمطر تباطئت وقد ثَقُل حملها وتريد أن تُلْقي به على وجه الأرض، وها هو مولودها يُلقي بنفسه لتحتضنه الأرض، بللت بضع قطرات جبينها وشفاها، ففتحت عينيها وهي في حالة مزاجية غريبة عنها، نهضت على مهل تتأمل المنظر حولها وكأنها تراه لأول مرة. دخلت وأعادت تشغيل التسجيل؛ ليعود صوته بعد وقت:

- أظن ما أردتُ شرحه صار سهلاً الآن، وسيكون عليكِ سهلاً وصْف تجربتك في كلمات، ستجدين الكلمات كضربات الموج تُباغتك تتسابق؛ لتلمس شاطئ صفحتك البيضاء ستلهثين؛ لتمسكي بها وتتلذي بقراءة ما كتبتِ ستقفين خارج الصورة تشاهدين مشاعرك تُجسدها علاقة الحبر بالورق ذلك كان درسك الأول في الكتابة حبيبتي...

مـا أنـت سـوى صـورة مُنعكِسـة في عيـون الآخـرين

مرت الأيام والدروس تتوالى، شيئًا جديدًا. كانت تؤنس وحدتها بصوته، وتقضي وقت فراغها مع أصحابه الذين تركوا أفكارهم في تلك الكتب بالمكتبة، يومًا وراء يوم بدأت تنسى آلام رأسها، ولأول مرة منذ جاءت الملاذ تمسك فرشاة رسمها وتبدأ في رسم لوحة، هيأت المكان، وبدأت تُعيد الثقة لنفسها فيدها لم تعد ترتجف كما السابق وعقلها مزدحم بالأفكار، ولكنَّها وجدت فرشاتها ترسم ظهر فتاة مكشوف ترتدي ثوب أسود يكشف ظهرها وشعرها مرفوع تبدو وكأنها..... إنها هي هيلانا بقصة المشكاة أسرعت لتحضر المُسَوَّدة؛ لتقرأ الكلمة مرة أُخرى فهي نُقِشت على ظهر الفتاة ولابد أن ترسمها بنفس الشكل، ولكنَّها لمحت شيئا لم تكن التفت إليه من قبل، لقد رسمها جوزيف في القصة بلغة لا تعرفها وخط لاتفهمه؛ شردت كثيرًا لاتفهم لِمَ رسمها بهذه اللغة وماهي؟ التقطت صورة للكلمة بالهاتف وأرسلتها لصديقتها مونيكا طالبة منها معرفة نوع الخط واسم اللغة وانتظرت بجانب الهاتف في لهفة تتنظر الاجابة التي كانت غير متوقعة...

أرسلت لها في رسالتها أن الخط باللغة العربية ويُسمَى الخط الديواني والكلمة المكتوبة المشكاة.

تأملت الرسالة كثيرًا، وهي تتساءل لمَ جعل الكلمة بالخط العربي عمدت للانترنت تتعرف على ماهيَّة الخط الديواني، وعلمت أنه كان الخط الذي تُكْتب به الأوامر الملكية، ثم أُسْتُخْدِم في كتابة مايخص الديوان؛ ولذلك سُمِي بالديواني 'ونوع الخط الذي كتبت به الكلمة هو الخط الديواني الجليَّ لإنها تحتوي على زخارف سدَّت بها الفراغات في الكلمة..

عادت ديانا لتتساءل بينها وبين نفسها لمَ جوزيف استخدم العربية في رمز وُشِمَت به فتاته بالقصة ؟؟!

ووجدت إن أفضل أجابة ستحصل عليها عندما تُكْمل قراءة المُسَوَّدة. جلست على كرسيها وبدأ ت في استكمال ماتوقفت عنده المشكاة مرت السنوات والقديس وهيلانا لايفترقان، فلم يسعدهما الحظ يوما وعرضت إحدى الأسر تبنيهما وكبرا حتى صارا في ريعان الشباب، ولكن وقت الفراق قد أقترب، حين كان لزامًا عليه الالتحاق بالجامعة وكان يَأْمل أن يراها بنفس المكان في ذلك اليوم عزفا سويا طوال اليوم في

وداع راقي، ولكنهما لم يشعرا بالاغتراب كثيرًا لأنهما كانا يعملان سويًّا بنفس الفرقة، فقد تطور بهما الزمن وصارا من أمهر العازفين، كما أن القديس لم ينقطع يومًا عن زيارة الملجأ كلَّما سمحت له الفرصة، وكان في كل مرة يحمل هدية لها ويجلس معها يحكي لها عن أصحابه ودراسته، ولم يوقف أحاديثه السرية مع الأم إليز، ولكن ذاك اليوم كان مختلفا فقد خرج من غرفة الأم إليز مُكْفَهِّر الوجه، يبدو تارة غاضبًا وتارة حزينًا حتى أنّ هيلانا كانت تَرْقبُه وهي تكتم أنفاسها؛ حتى لايشعر بها خرج يتخبط ويتلمس جدران نفق مظلم كان يوجد في آخر الحديقة اعتاد الاختباء فيه سويًّا أثناء لعب الغميضة وهم صغار بعد أن كسر عصاه وألقى بها. دخلت خلفه تمشي كعصفور يلمس الأرض لأول مرة، عيناها تدمعان وهي ترى ألمه، لاتعرف مابه تخشي أن تقترب فيخرج وَحْشَه الغاضب الذي قيدته منذ زمن بداخله، إنْ خرج الآن سيجرحها هي أولًا ظلت تَرْقبه تراه يضرب الحائط بقدميه، وأوقات يصبُّ لعناته على السماء، وتارة يبكي بصمت حتى سمعته ينطق اسمها، ظنت أنه ينادي لإنه بحاجة إليها وبدون أن تشعر وَثَبت؛ لتحتضنه الحظات الأولى سكن في عناقها كان يعرفها من ملمس شعرها ورائحتها التي تشبه الزهور

البريـة، اسـتكان الغضـب بداخلـه رويـدًا، ولكـنْ بعـد قليـل دفعهـا عنـه صارخا في وجهها:

- لما لحقتِ بي فأنا أعرف طريقي وحدي، وخرج مسرعًا دون أنْ تفهم سبب انقلابه عليها تركها وعلامات الدهشة تعلو وجهها... تركته في ذلك اليوم يمضي بدون تفسير، اكتفت بالوقوف تَرْقُبه يمشي حُب عمرها يتسرب من بين يديها، لاتقوى على أنْ تعترف له بمرضها ولم تعترف له يومًا بسبب خوفها من الطابق العلوي..

انتبهت ديانا وهي تقرأ أنها تبكي، وتحادث نفسها فاحتضنت المُسَوَّدة في صمت وأغمضت عينيها وهي لا زالت تهمس لنفسها من اليوم سأخبرك بكل خَفِيٍّ عنك.

الأسرار جُزء لم يُنشر أبعد

تنبهت ديانا وهي تقرأ أنها أصبحت تمزج مشاعرها بمشاعر البطلة، وربما كانت ترى مشاعرها تتجسد أمامها، احتضنت المُسَوَّدة وبدأت تحادث جوزيف وكأنه جالس أمامها كالأيام الخوالي، يحتسي قهوته في صمت وعيونه ترسل لها ألف عبارة....

لم أتعمد أن أُخْفِي عنك سبب خوفي من الطابق العلوي، ولكني نشأت على كتمان الخبر حتى أصبح سراً دفينًا بداخلي، وكلما كبرت تحول السر إلى خوف وكأنه شبح يكاد يفتك بي كلما أغمضت عيني، وتجسد شبحي وصار حقيقة مع أول ألم بدأ يطرق أبواب رأسي؛ ليؤكد لي إنه لامْهْرب من مصير محتوم كان أبي طبيعيًا أمام الجميع لايعاني مرضًا، وكنت أحبه كثيرًا كان أحياناً تتنابه ألآم الرأس ولكنه لم يعير لها انتباهًا، ولكنْ مرت الأيام وبدأ والدي يفقد السيطرة على أعصابه ويتغير سلوكه، وفجأة ذات يوم عدت من مدرستي ولم يعد هو من عمله كنت طفلة تنتظره دومًا عند الباب أملاً في أن يعود واحتفظ بالهاتف بجانبي في مطبخ أمي وبجانب دُمْيتي؛ ربما يهاتفني ويخبرني سبب تغيبه وإنْ حاولت السؤال عنه تشرد أمي بعيدًا ولا تجيب، و الأيام مرت وماتمنته فتاة صغيرة

أصبح صعب المنال تحول لرسالة أتركها لسانتا كلوز ربما يحققها لي في ليلة عيد الميلاد، وبينما كنتُ أنا أنتظر كانت أمي تتغير تصير أكثر قسوة وشحوبًا، أصبحتْ شاحبه يَنْحف جسدها بمعدل كبير تصر دوما على نومي مبكرًا، أو قضاء يومي بالخارج في الحديقة الخلفية كانت تتجاهل خوفي من الأصوات التي أسمعها في العلية الصادرة من الطابق العلوي، وذات ليلة استيقظتُ وتسللتُ من غرفتي محتضنة دميتي يختنق صوتي بداخلي أخشى أن أصدر صوتًا حتى إني رفعت رداء نومي، فقد كنتُ أسمع حفيف ثوبي وهو يلامس الدرج وصعدت في بطء صَوْب الصوت الصادر وماكان يطمئني هو سماعي لصوت أمي ولكنْ دُمْيتي تخلت عني، وسقطت من يدي حين ارتجفت من هَوْل ما رأيت كان هو كان أبي يرتدي معطف أبيض يكبل يديه تحاول أمي حقنه ومعها آخر يرتدي زي طبيب كانت نظراته لي محملة بالدموع كانت صورتي مرسومة في عينيه قبل أن يغمضهما، حملتني أمي بينما صعد رجال أخرون وحملوا أبي دون أن أودعه كنتُ في حاجة لاحتضانه فقط، ولكنْ كل شئ مرَّ سريعًا غادروا منزلنا ولم أره ثانية أبدًا، في تلك الليلة جلست أمي بجواري على الفراش وهمستْ لي هو في مكان أفضل الآن لم يعد بمقدوري رعايته لقد أصابه الجنون وأغمضت عيناها للأبد، جلستُ حتى الصباح محتضنه نفسي في

صمت ولم يكتشف أحدهم موت أمي قبل الظهيرة وبعد أنْ علمتْ جدتي أخذتني وغادرنا منزلي ولم أعد له، فكلمات جدتي لاتزال تتردد داخل رأسي : .سترثين مرض والدك إن أبقيتُ عليكِ بهذا المنزل، (ما كان لابنتي أنْ تتحمل كل هذا الألم ليتها أحرقته هو والطابق العلوي) ولكَ أنْ تتخيل حياة طفلة مع عجوز شمطاء مثلها كنتُ كلما أخطأتُ؛ تهددني بحبسي في الطابق العلوي لأموت أو أُجن مثل والدي..... نامت ديانا بعد أنْ أنْهت قصتها، كان الاعتراف حجر ثقيل وأخيرًا ألقت به في بحيرة النسيان، عندما أفاقت شعرت براحة واختلاف وسعادة غريبة تَسْرِي بداخلها، فقررت أن تكافئ نفسها وخرجت للحديقة، وقطفت بعض الأزهار، ونسَّقتها في المزهرية، وطهت كعكة لذيذة تناولت قطعة منها بجانب قهوتها، ولكنْ كل هذا لم ينسها شغفها في البحث عن سر استخدام جوزيف للغة العربية في وشم هيلانا فعادت للمُسَوَّدة وهي في إصرار لكشف المزيد.

المشكاة

قررت هيلانا مواجهة الأم ليز؛ لمعرفة سر غضب القديس، ففتحت باب غرفتها في غضب ولكن بدا على الأخرى وكأنها كانت في انتظارها... فقالت لها بكل هدوء:

- ادخلي واغلقي الباب خلفك ولتهدئي وتنصتي..

جلست هيلانا وهي تشعر بحرج كبير، فهي تُكِّن للأم ليز كل احترام وحب ومـودة، جلسـت فـي صـمت كمـا أمرتهـا وأخـذت تصـغي...

- تعـرفين مـن قصـتك مـا رويـنـاه لـكِ، وتجهلـين مـا أخفينـاه عنـك،حين وجـدكِ الطبـاخ كنـتِ ترتـدين معطفـا، وعنـدما خلعتـه عنـك ليفحصـك الطبيـب، ونبـدل ثيابـك وجـدت بـداخل المعطـف رسـالة وأمـوال كثيرة، فتحـت الرسـالة ووجـدت مـالم أتوقعـه يومًا لقـد أحضـرتك أمك بنفسـها هنـا؛ لحمايتـك مـن عائلتهـا فهي مـن أصـل عربي وذات شـأن في بلادهـا أنجبتك من زواجها السري بشاب عربي كان يدرس معها بنفس الجامعة، وحـين علمـت أسـرتها تخلصـت مـن والـدك وربمـا كـان هـذا أيضـا نفـس المصير الـذي انتظر والـدتك فاختـارت المكان هنا؛ لأنه أبعـد ما يكون عـن تصـورهم ومـن وقتهـا وأنـا أحمي هَوِيتك ولكنني أُجْبِرْت اليـوم عـن كشـفها للقـديس حـين صـارحني بحبـه لـكِ، لا تندهشـين أعـرف مشـاعرك تجاهـه، ولكنـه يـراكِ بمشـاعر أخـرى وربمـا كانت غلطتي، فقـد قمت بحمايتك من كل شئ ولكن لم أحميكِ من نيران الصداقة.....

الصداقة يا بُنيتي ،نار نحتاجها للتدفئة ولترشدنا في طريقنا المظلم، ولكنْ إنْ اقتربنا أكثر تحولت لنيران عشق كما حدث للقديس..

حـــين تُضَـــلَّلك حواســـك اتَّبـــع قلبَـــك.

أخـذت ديانـا تقـرأ السـطور المتبقيـة بشـغف أكبر، وقـد اشـتعل داخلهـا حَدْس يُنْبئها بوجـود خيط خفي بين المشكاة وجوزيـف، ولكنْ صوت رنين الهاتف قطع عليها حبل أفكارها جاء صوت ماركس عبر الهاتف مصحوب بالتوتر:

- عزيزتي أنت بخير؟
- لاتخف لم أُجَنّْ للآن ولم أمت.
- ليس هذا ماقصدت يادیانا.
- مابالك ..تتكلم بجدية شديدة!
- لاتثقي بأحـد يادیانـا ..هـذا أمـر وليس رجـاء.. جوزيـف لـم يمـت مصادفة وجرعة الممنوعات لم تكن نقية.

سـاد الصمت لبُرْهة شـعرت فيها ديانا بدوران الكرة الأرضية من تحتها، ثم نطقت بما تخشى تصديقه.

- قُتِل عند عَمْد. أليس كذلك قُتِل عن عَمْد..؟؟؟!!!..

أغلقت الهاتف وعمدت إلى المشكاة؛ لتكملها حتى أنها بدأت تقرأ بعينيها وحواسها، فقد صدَّقت حَدْسها وتشعر بوجود رسالة ما من جوزيف تخفيها سطور المشكاة

المشكاة

استوعبت هيلانا بصعوبة ماقالته لها الأم ليز، وقررت أنْ تغادر الملجأ وتستقل بنفسها وابتعدت عن القديس؛ حتى لاتجرح مشاعره أكثر بعد أن بات مستحيلًا أن يعيدها لمشاعر الصداقة ونظمت لها حياة، ولكنها لم تبخل على الأم ليز وأخبرتها بعنوان سكنها والتحقت بالجامعة، وكونت صداقات أخفت بينها هويتها، ولم تنس يومًا القديس فقد كانت تفتقده كصديق حقيقي لها يعرف عنها كل شئ متى تفرح ومتى تحزن ومايدور في خلدها حين تشرد بعيدًا، ولكنها استجمعت قوتها وقررت تعود للحديث معه فباغتته في الجامعة وواجهته بافتقادها له ووجدته مرحبا بعودتها كصديقة فهو أيضًا يفتقدها كثيرًا وعادت الحياة بينهما رويدًا رويدًا، وتأقلم القديس مع وضعه الجديد كونه الصديق الحميم لها وبدأت تتشجع وتحكي له عن مشاعر جديدة تشعر بها نحو صديق لها عربي ينظم الشعر، وأخذت تقصُّ عليه كيف انجذبت له حين تقابلا لأول مرة

داخل مقهى الزهرة البيضاء عندما كانت في رحلة لفرنسا... وعن جمال قصائده التي أصبحت تحفظها عن ظهر قلب وكانت كل مرة تحضر معها

قصيدة منه تقرأها للقديس

دَعِيني أُسَابِق ضَوْءَ النَّهارِ

لأَلْقي السلام إلى عيْنيْكِ

دَعِيني أُحَلق مثل الطُّيور

وأُرْخِي الجناح على راحتَيْكِ

أُقَبَّل في وَجْنَتيْك النجاة

وألقَى عيونك قبل السَّفر

فإنْ بَاعدَتْنا دُرُوب الحياةِ

سألقاكِ في العمر دومًا قدَر

وتبْقِين في العمر بعض..

الهداية..

وفي العينِ طيْفك مِلء..

البصر..

وبَيْني وبَيْنك تبقى الحكاية

وتَبْقيِن مني وأبْقَى ... إليكِ

توقفتْ ديانا عند الأحداث الأخيرة، وألقتْ بالمُسَوَّدة أرضًا ووقفت تدور حول نفسها في الغرفة، وصور كثيرة تتجمع داخل رأسها تزاحمها تترابط تارة وتنفصل مرة أخرى وأخذت تحادث نفسها.. لايمكن أنْ تكون كل تلك مصادفات أنت أكثر ذكاء من هذا الرسالة تبدو واضحة لي ولكنني لا أستطيع الإمساك بها..

معرفتك للغة العربية وحُبك لهذا الشاعر واحتفاظك بأعماله. ذهابنا سويًا لمقهى الزهرة البيضاء.

تلُّهف وكيل أعمالك لمعرفة مكان المُسَوَّدة.

ومقتلك الذي كان مُخَططًا له،

ولـوحتي الثالثـة التي أخبرتني عـن وجودهـا في المـلاذ والتي لـم أجـدها للآن.....

ماالذي ينتظرني في الملاذ ياجوزيف ؟

لكل طريقٍ نقطةُ بداية ننْطلق منها ونعود إليها

تمالكت ديانا نفسها وبدأت بالبحث في مكتبة جوزيف، وبين أوراقه وأعادت سماع التسجيلات الصوتية، وأخذت تربط كل الخطوط ببعضها حتى وصلت لقرار سيغير كل مامضى... ارتدت ملابسها وتأَهَّبت للخروج، كانت تنوي الوصول لشارع الشانزليزه حتى وإنْ كلَّفها ذلك ساعات من السفر وأخذ يدور في مُخَيلتها أكثر من سيناريو للأحداث، تتساءل هل من السهولة أنْ تجد ذلك الشاعر مرة أخرى، وهل سيرشدها أحدهم له؟ وماذا تتوقع من مقابلتها له؟ أفكار كثيرة كانت تتصارع داخل رأسها ولكنها عزمت على إكمال الطريق، وبعد أنْ تمَّ لها المراد عمدت لأحد الفنادق التي تعرفها؛ ونامت بضع ساعات قبل أُن تتأهَّب للنزول لوجهتها ما إن وصلت لأعتاب المكان حتى شعرت بالبرودة تسري في أوصالها، لم تتخيل يوما أن تدخل ذلك المكان بالتحديد بدون حبيبها، وأخذت مسامعها تلتقط لحن فرنسي يعزف بالشارع أثار شجونها فانسابت دموعها، وأخذ نبض قلبها يعلو وكأنه قرر إعلان الرحيل وراء من أحب فذاك النداء الأخير لجسد يرفض الحياة بدون من أحب.... وحدث المتوقع أُغْمِى عليها أمام المقهى ولولا مساعدة بعض الزبائن لسقطت أرضًا أفاقت بعد فترة؛ لتجد نفسها محاطة بوجوه تجهلها وقد أدركت ماحدث من تعابير وجوههم وعبارات الطمأنة.

تمالكت نفسها وشكرت الجميع وقدَّم لها المقهى قطعه كيك وقهوة على سبيل الترحيب تناولتها على مَهَل وعيونها تجوب المكان بحثًا عن ذاك الشاعر، ولكنْ كيف ستعرفه وقد مرت سنوات وقد لمحته لمحة سريعة، ولا تعرفه جيدًا... أمضت ساعات طويلة وقد تحسنت حالتها، وتناولت عشاءها وقد بدأ توافد زوار الليل ففي فرنسا ليلها للعشاق ولكل ماهو ساحر وجميل.

كاد الانتظار يقتلها ومخاوفها تزداد فقررت المغادرة فلا جدوى من الانتظار، وانشغل ذهنها بمحاولة البحث عن طريقة أُخرى لإيجاده وإنْ كلفها ذلك تكليف تَحَرِّي خاص للبحث عنه، وبينما هي غارقة في أفكارها تحملها قدماها للمجهول شعرت بيد تجتذبها ورجل يعانقها هامسًا: لا تخافي ديانا....

- أنا مَنْ تبحثين عنه.

جَفلَت وذُعِرت، ولكنها لم تقاوم وعندما تركها لتواجهه وجهًا لوجه تبينت من ملامحه أنه شاعرها المنشود أشار لأول سيارة أجرة، وانطلقا سويًّا دون أن ينطق أحدهما بحرف؛ حتى نزلا و وصلا لشقة في إحدى المباني الشاهقة، وما إن دخلا سمعت صوت أنثوي يرحب بها.

- مرحبا بك ديانا

أدارت رأسها لتجدها هي.. هي بالفعل كما وصفها في روايته نطقت بعفوية: ...هيلانا!!!

- بل نور ..هذا اسمي بالعربية.

قاطعهما قائلا:

- أسف على الطريقة التي تعرفت بها عليكِ، ولكن كان عليَّ أنْ أتاكد أنه لا أحد يتتبعك.. أنا عامر بن حسين.

صافحته وعقلها يحاول مطاردة كل تلك الألغاز؛ لعله يجد لها حلول يَقْبَلها...

- تفضلي بالجلوس وتناولي مشروبًا أولًا لكي تتمكني من سماع قصتنا.

استجابت لهما وجلست دون حراك تتناول رشفات من كأس الماء، ورفضت أي شئ آخر وقبل أن تسمح لهما بالكلام قالت:

- هل جوزيف هو القديس ؟!
- هو كذلك ولكن بالنسبة لأبويّ وليس لي.

زاد اندهاش ديانا وقررت الصمت حتى تسمع منهما:

- أنا نور، ورمز اسمي نُقِش على ظهري منذ الصغر، وقد وشمني به جوزيف فوشمني بكلمة المشكاة؛ جعلها علامة مميزة لي ربما خاف يومًا مِنْ أن يفقدني، كان جوزيف صديق لوالدي، وكان بمثابة القديس لأمي كما في الرواية، وأدرك خطورة ما أقدما عليه، فعائلة والدتي ليست ذات شأن ومال فقط بل وسلطة، فأمي بمثابة أميرة ومافعلته جريمة دفعت ثمنها هي ووالدي، ولكن أنا فقد أسعدني الحظ بكوني كنت مع جوزيف أثناء مقتلهما كنت معه في جلسة تصوير لازلت احتفظ بصورتي معه

وأنا طفلة، ولخوفه عليَّ مِن مصير مشابه لِمَا حدث لوالديَّ أدخلني الملجأ بالاتفاق مع الأم ليز، وسهرت هي على رعايتي سنوات طويلة حتى جاء اليوم الذي اخبرني فيه كل شئ، وغادرت الملجأ وكنت أراسله سرًا وأخبره بكل مايمر به يومي؛ حتى أحْببتُ عامر، فحضر بنفسه ليبارك زواجنا بعد أن تحقق وتَحَرَّى عنه جيدا كان يعاني من هاجس أنهم يعرفون بشأني، وكما كنت أخبره عني كل شئ أخبرني عنه كل شيئ، كيف تزوج تلك المزيفة مرجريت وأنجب منها طفلته الوحيدة، وكيف وَقَع في حُبك كلما كان يفتقدنا كان يأتي لفرنسا وخاصة لمقهى الزهرة البيضاء ليرى عامر ومنه يطمئن على أخباري حتى ظهرتي يوما معه؛ جاء عامر ووصف لي مقدار حبكما،

سعدتُ كثيرًا من أجله فقد كان يستحق كل السعادة، ولكن بعد سنوات بدأ يتغير وخوفه يزداد حتى صار هاجسه حمايتنا، فبعث لي مُسَوَّدة المشكاة يطلب مني الموافقة على نشر القصة وبالطبع وافقت دون تردد، فهذا حق والديَّ وإن لم يُذكر فيها هويتهما الحقيقية ولكنه بعث برسالة مع المُسَوَّدة شعرتُ بقبضة في صدري حين قرأتها..

أحضر عامر الرسالة وبدأتْ ديانا تقرؤها..

- أبنائي ربما تكون تلك أخر كلماتي لكما فعليكما الإنصات حافظا على حبكما فهو كنزكما، لا مال يغنيكم عنه ولا زهوة سلطة ومكانة، إن رأيت ياعامر ديانا وحدها في مقهى الزهرة

البيضاء تتبعها حتى تتأكد من كونها غير مراقبة، وبعدها اصطحبها لنور وقُصَا عليها قصتنا ولكن هذا يعني أني قد قُتلِت أو ربما يسبق القدر القاتل وأموت.

وافترقا بعد ذلك ولا تتلاقوا مرة أخرى.

جوزيف.

بكت ديانا وهي تقرأ، وتأكدت من إنه قتل بالفعل على يد أقرب الناس له ودَّعتهما وهي تشكرهما جدًا لإنهما كشفا لها سر المشكاة وقبل أن تغادر أهدتها نور رسائل جوزيف لها التي كان يحكي فيها عن حبه لديانا استقلت أول طائرة وهي تحتفظ بالمُسَوَّدة والتسجيلات الصوتية، وما أن وصلت لندن توجهت لمكتب ماركس.

- ديانا! لم أتوقع حضورك.
- لم يعد هناك طائل من مكوثي في الملاذ فقد عرفت من القاتل وسبب إرسالي للملاذ..
- كنت أعرف مدى ذكائك وخشيت كثيرا أن تكشفيني حاولت دفع شكوكك نحو جون، ولكنك تلميذة جوزيف استطعتي كشف أمري.
- جون قد يكون طماعًا ولكنه لن يقتل عميلاً يستفيد منه، وأنت كشفت نفسك عندما حذرتني في الهاتف؛ علمت أنك قرأت المشكاة وسمعت التسجيلات، وربما بحثت عن حقيقة الفتاة وتوصلت لأسرتها؛ لتبيع لهم المعلومات بملايين وبالطبع كان

عليك التخلص من جوزيف خاصة بعد أن كشفك وأخفى مكان نور عنك، فأنت الوحيد الذي كان يعرف تجربته للممنوعات، وكانت فرصتك ولكن ما أجهله لمَ لم تحرق المُسَوَّدة؟ وهل كنت تراقبني؟

- لأن القصة لاتمس العائلة المالكة في شئ فلم أحرقها، ولم أشِ بمكانك لهم خشيت أن يتخلصوا منك، وأنا أحبك وربما كان هذا دافعي لقتل جوزيف وليس المال
- وهو أرسلني لهناك لأشفى من وهم مرضي، وأتبادل معه أسرار كنَّا نُخفيها عن بعضنا، فقد كان يتابع مع طبيب نفسي حقيقة مرضي وكان علاجي في الخروج من أوهامي والبوح بسر الماضي
- هل ستشي بي للبوليس؟؟
- في تجربتي تلك تعلمت من جوزيف(إنك عندما تحب تمشي طريقا مظلما والمحظوظون فقط مَن يمتلكون مشكاة في طريق العشق) تلك لوحتي الثالثة التي سأرسمها بعد أنْ وجدتها في الملاذ. ويكفيك أنتَ ماتعيش فيه من ظلام ياماركس.

لم يحتملوا أكثر طلب بعضهم استراحة قصيرة؛ توجهوا فيها لماكينة القهوة وبدأ ثلاثة منهم حديث جانبي:

هل يوجد مثل هذا الحب؟

بالطبع لا ألمْ تنتبهي أنها قصص لاتَمُت لواقعنا بصلة كل هذا هراء
تلقي الثالثة كوب القهوة بعد أن ضغطت عليه بقوة وتقف بعيدًا لتنفث دخان سيجارتها وهي تنظر لانعكاسها على زجاج النافذة تحاول التذكر ترتفع أمامها صور مترسبة من الذاكرة حبيب مغدور به غارق ببركة دماء ثوب زفاف لطخت أزهاره بدموع ممزوجة بشاظايا بارود عادات قتلت الحب ووأَدَتْه. جاء صوت دكنورة هدى سيفا قاطعا أيقظها؛ ليصطحبها من ركام الماضي.
هدى تستدعي الجميع لإكمال الجلسة ولا مفر لهم سوى الانصات وتسجيل ماطلبته منهم.

أقْدَارٌ عَابِثَةٌ

لما اعتادوا على السفر لهذه البلدة كل عام مرت ثماني عشرة عامًا، وما سأموا الترحال، تطلعت جيني للحقول حولها والمحاصيل مزدهرة، والطيور ترقد في سلام داخل جذوع الشجر لايكدر صفوها إلا حركة الخيول المسرعة وصوت نُباح الكلاب الكل شعر بالانزعاج، حلقت العصافير في فزع لأعلى وكأنها تعرف بأن قدرها مقيد بتلك الأصوات. أخرجت جيني رأسها من العربة؛ لتقع عيناها عليه هذا المتعجرف ذو السطوة يمسك بلجام فرسه بتحكم وتمكن ونظرة عيونه لاتعرف الرأفة وقعت كراهيته في قلبها من أول نظرة.

- من هذا الطاووس؟؟
- اخفضي صوتك ..إنه النبيل لوكاسيوا وريث القلعة البيضاء دعيه يمضي فمن مثله لاينتبه لوجود أناس مثلنا.
- جدتي... لمَ تحرصون على التواجد في هذه البلدة المقيته فبلدة تتمتع بجمال أخَّاذ ولكن أهلها جميعهم مُتَعَجْرفون.
- نعم يا بُنيتي هم كذلك ولكنهم أيضًا، وعشيقاتهن ينْشُدْن دومًا معرفة الغيب وهذا مانقدمه لهم.

صمتت جيني وهي ترقب هذا الكريه وحاشيته، ولكن صادفت أنه أيضًا كان يَرْقُبها وقد أطال النظر فيها فلم يكن من قبل قد رأى فتاة غجرية،

فهو لايزور خيمهم وليس لديه عشيقة؛ ليُلَبّي رغباتها المجنونة في قراءة الطالع.

جيني تلك الجميلة بشعرها الطويل البني المتطاير على أكتافها وظهرها، ونظرتها القوية المملؤة بالثقة، وشفتيها المكتنزة ولونها الزهري وبشرتها، البرونزية التي أتقنت الشمس إبرازها في جاذبيته. كانت بكل مافيها يتحدى عجرفته ونظراته الخالية من العاطفة ،وكأنه وحش في ثوب بشر.

مضت العربات باحترام بجانب حاشيته وكأنها تحمل أموات، فلقد توقف الجميع عن الغناء والضحك وصمتت أصوات الطبول وكأن الخيول تسير بجانب مقبرة.

تَنهَّدت جيني بصوت كادت تسمعه البرية كلها حين وصلت العربات لمكان التخييم، وارتجلت من العربة وجَرَت بكامل سرعتها لينبوع الماء، وتجاهلت صوت جدتها الذي كان يناديها دون جدوى.

كشفت عن ساقيها وغمستهما في الماء.

بدأ الرجال في إلقاء الحبال وإفراغ العربات وإراحة الخيول من عناء السفر

- ألن تخبر جيني عن حبك؟
- هذه فرصتك يارجل.
- لا استطيع ياسام فكلما حاولت إخبارها نظرت لي نظرة كتمت الكلمات في حلقي.
- انت جبان يا إبراهام.

- لستُ بجبان، ولكن محب وكل محب يخاف أن يخسر من أحب

لم تتوقف خيول رجال القلعة حتى وصلت لذلك البناء الشامخ الصامد منذ مئات الأعوام، والذي يحمل في جنباته الكثير من الأسرار والخفايا، ودومًا تتوجه له أنظار أهل هونيدوارا أهل تلك البلدة التي تقع غرب رومانيا، وأهلها مزيج من طبقتين: طبقة النبلاء، والأثرياء، وطبقة عامة الشعب من المزارعين وغيرهم، وكان الجميع يرحب بوجود الغجر ماعدا تلك الحية الرقطاء التي تَقْبع خلف جدران القلعة،

أُسْدِلت أستار الليل الحريرية سريعًا وقضى الجميع الوقت في نَصْب الخيام التي بدت براقة بألوانها الزاهية الأحمر والبرتقالي والأصفر، والمشاعل زادت المشهد بهجةً مع أصوات الغناء وقرع الطبول والضحكات الممزوجة بأنفاس ثَمِلة، وعلى بعد كيلومترات كان الوضع مختلف صوت موسيقى البيانو هي الغالبة وأصوات كؤوس الكريستال، وهمسات رقيقة من فتيات جِيدهن تزينت بنفيس المجوهرات، ومائدة عليها كل مالذ وطاب يُطَوِّقها أطباق مزخرفة وملاعق وأشواك من الفضة المُطَعَّمة بالذهب كل هذا الثراء داخل القلعة البيضاء.

- كان صيدًا وفيرًا يالوكاسيو والجو كان صَحْوًا.. إنها متعة كاملة ياصديقي.

- لوكاسيو لايعلم شيئًا عن المتعة ،فمن يتجاهل جميلات هونيدوارا لم يعرف بعد معنى المتعة.

- أرمنيوا معشوق النساء لا يتوقف لحظة عن ذِكْرِهن...

- تعرفني جيدًا يالوكاسيوا وبرغم صداقتنا لم تتعلم مني شيئًا... همس في أذنه بحميمية وقال مبتسمًا. أتراك بك عيب أجهله.!! انفجر الجميع في الضحك بما فيهم لوكاسيوا لإنهم يعرفونه جيدًا، وكانوا على علم بعلاقته بتلك الساقطة أيام دراسته بالخارج ولكنه لايميل لأي واحدة داخل حدود هونيدوارا.. ويعرف أنَّ قدره محتوم وإنْ رغب في الزواج فزوجته المستقبلية فُرِضَت عليه منذ زمن.

- فرنشيسكا.....

نطقها أرمنيوا وكأنه يلعن الاسم فهي الوحيدة من بين النساء التي يبغضها أرمنيوا؛ لإنها فُرِضَت كزوجة على صديقه لوكاسيوا؛ ولإنه يراها امرأة برأس ثعبان وقلب من ثلج.

امرأة في العشرين من عمرها أرملة، فهي لم تنتظر من لوكاسيوا الإيفاء بوعده وتزوجت بعد وفاة والدها؛ لتحمي ثروتها وتزيد عليها ثروة جديدة فقبلت الزواج بشريك والدها رجل كان يكبرها بأربعين عاماً، ولازالت الشكوك تَحُوم حول موته مقتولًا، حيث سقط من على دَرَج قصره ليلًا وهو ثَمِل.

امرأة شقراء وكأنها استعارت خيوط الشمس وغزلت منها خصلات شعرها، ذات نظرات حادة وعيون زرقاء وكأنها المحيط، وخصر نحيل يحمل فوقه صدر مكتنز تبدو كطاووس يَرْفل في الحرير بغطرسة لا يقبل بها غير لوكاسيو.

- لازلت لا أعرف لمَ ترغب في إكمال الزواج بتلك الحية.

- أرمنيو أظهر بعض الكَيَاسة وأنت ثَمِل.

لم يعير أرمنيو لوكاسيو اهتمامًا، وغادر وهو يضم له تحت ذراعه يد فتاة جميلة من فتيات الحفلة وأخذها وغادر، ولكن عيون لوكاسيوا كانت تَرْقُبه فهو صديقه الوحيد.

- لا تشغل بالك به سيعود بعد أنْ يفرغ منها.

- فرنشيسكا.. لستُ بحاجة لتكهناتك حول تصرفات أرمنيو.. والآن هل تشاركيني الرقص.؟

مدَّ يده مع انحناءة بسيطة وأمسك بيدها وقبَّلها وصحبها للرقص وسط غمزات وهمسات من الجميع، الكل يتساءل متى سيتزوج؟ هل بعد أنْ يَؤول له كل شيء؟ فعمه مات ولم يترك وريثاً ووالده مريض قعيد الفراش وأخته متزوجة وتعيش بلندن، وبذلك يكون لوكاسيوا هو الوريث الوحيد.

كان الجميع على الجانبين يستمتعون بوقتهم كلا على طريقته الخاصة، ولامجال لأنْ يختبر لوكاسيوا الأجواء الأخرى إلى أنْ حدث مالمْ يتوقعه أحد

..

كأن القدر قَدَّر له تلك الخطوات؛ ليرى عالما كان يجهله.

- لوكاسيو... لوكاسيو.

- ما الأمر فريدريك؟

همس فريدريك في أذن لوكاسيوا بكلمات جعلت وجهه يَعبْس فغادر الحفل سريعًا وبدون لياقة، خرج لوكاسيوا متوجهًا لحصانه الذي كان قد سرج في الحال وانطلق به نحو النهر حيث مقر الغجر.....

- ابتعدوا ابتعدوا جميعًا هيَّا احمله معي يافريدريك.

- لا يمكنك...

- ومن أنتِ لتمنعيني ؟!

- إنْ حركته سيتحرك السم داخل جسده وسيتوقف قلبه في الحال.. أنا أقوم بعلاجه.

- ماذا! هل تَهْذي تلك الفتاة؟ هل جُننتي؟؟؟؟؟

لم تعيره جيني اهتمامًا وظلت تمتص السم من جسد أرمنيوا و الجميع يُحَدِّق فيها في حين كانت جدتها قد صنعت خلطة من الأعشاب؛ لتوضع على ساقه بعد هذا وقد أتمَّت جيني عملها بنجاح وشعر الجميع بتحسن طفيف في حالة أرمنيوا، بعدها سمحت للرجال بحمله ووضعه في العربة وقدمت لصديقة أرمنيوا أعشابًا لتطعمها له في حين عاودته الحمى...

- يا فتاة... خذي مكافأتك..

امتدت يد لوكاسيوا بعملة ذهبية وظلت ممتدة في الهواء في حين التفت جيني بكل كبرياء ونظرت له:

- ستحتاجها لتدفع ديون صديقك وعشيقته فهم يدينون لجدتي لقراءة طالعهم.

تركته ومن حوله يبتسم ووجهه يكاد ينفجر غيظاً.

غـادر أرض الغجـر وهـو يشـعر بسـكين يطعـن كبريـاءه، ولكـن كـان عليـه المغادرة، وتأجيل الانتقام لوقت أخر.

وفي نور القمر جلست جيني تداعب البحيرة الصغيرة ببعض الحصى في حين اقترب منها إبراهام؛ أملاً في التودد إليها.

- القمر مكتمل الليلة وجميل.
- تكاد تلك الأجواء تجعل منك شاعرًا يا إبراهام.
- جيني.. أنـا أجيـد التحـدث دومًـا ولكـن في حضـورك تهـرب مني الكلمات فهل أنصتي قليلا لي؟.
- ما بك تبدو الليلة مختلفًا.
- ألا تلاحظين أني كبرت على سن الزواج المتعارف عليه بيننا، فأنا في العشرين وأنت كذلك في الثامنة عشر، وعاداتنا أن نتزوج في سن مبكرة عن ذلك.
- ولمَ تهتم بسن زواجي، جدتي لا تُرْغِمْني على الزواج وتعرف رأيي جيدًا.
- لقد أخرت زواجي من أجلك؛ لإني أحبك وأريد الزواج منك.

توقفت يد جيني عن العبث بماء البحيرة ونظرت طويلاً لإبراهام، وكأنها تراه للمرة الأولى ولم تدرك إنه محب إلا حين نطق بالكلمات، ولكنها لم ترتبك بل كانت دومًا سريعة البديهة عفوية صريحة.

- ولكنني لـم أنتبـه يومًـا لحُبـك هـذا وهـذا يعني إن قلبي لايشـعر بوجودك.... أسفه.

أسرعتْ الخُطى متوجهة لخيمتها ولم تحاول الالتفات للوراء، وحين دخلت كانت جدتها مستيقظة تطالع الورق في صمت.

- لمَن تقرأين الطالع في ذلك الوقت وليس هناك أحد ياجدتي؟.

- بل أقرأ نِتاج الماضي يابنتي فلا خوف من مستقبل مجهول، ولكن الخوف كله من حصاد زرع الماضي.
- دومًا تتكلمين معي بالُأحْجِيات حتى إنني صرتُ أشعر بأنني دومًا داخل متاهة لا تنتهي، وكلما وصلت لباب للخروج عُدتُ للطريق من بدايته.
- صبرًا ياجيني، فخيوط المستقبل تغزل اليوم ببطء شديد فصبرًا يا ابنتي.

لم يغمض لجيني جفن تلك الليلة وظلت تراجع كل ماحدث فيها، وكذلك لوكاسيو فقد كان شيطان فكره يَجْمح به في كل طريق؛ ليلقن تلك الغجرية درسًا قاسيًا. أتى الصباح ولكنه كان مُلبدًا بغيوم لا تحمل قطرات مطر

صباح الخير ياولدي .هل ستتوجه للصيد مبكرًا؟

- لا يا أمي سأتوجه لمنزل أرمنيوا؛ لأطمئن عليه.
- سمعتُ بما ألمَّ به أمس. لكم أكره نزوات الشباب وأكره الغجر.
- إذًا لماذا نسمح لهم بالتواجد على أراضينا؟
- لا تنس أنتَ ووالدتك إني مازلت حيًا، وأنا من يمتلك تلك الأراضي، وأنا من يسمح لهم بالتواجد.

- أبي مازلتَ مريضًا. لمَ غادرتَ الفراش؟!
- غادرته لأذكِّر السيدة ماريان بأني حي أتحكم فيما أملك
- ولكنْ يا أبي وجودهم هنا خطر، فالبعض منهم لصوص.
- مَن يسرق منهم أُطِبق عليه القانون. ومَن يعش بسلام أتركه.
- وماذا تفعل فيمَن يتطلعون لمنازلنا؟
- كنتُ كفيل بهم. ولكنني لستُ بحيوان وحشي.
- أبي لاتنفعل، ياخدم اصطحبوه لغرفته في الحال، وسأحضر الطبيب.

حمل الخدم سيدهم فيما كانت ماريان تُحَدق في عينيه بتحدي وهي تشرب فنجانها بكل هدوء.

أحضر لوكاسيوا الطبيب بسرعة وظل ينتظرفي قلق خارج غرفة والده في حين تجمع رجال ونساء المدينه من عِلْيَة القوم، وكانت ماريان بالداخل مع زوجها كزوجة مخلصة ترافقه للنهاية.

بدأ الهمس يزداد ويصل لمسامع لوكاسيوا في بداية الأمر تجاهله، ثم بدأ ينصت لما يقال.

بدأت ثرثرة العجائز منذ الآن ولم يمت والدي بعد تُرى ما الذي سيدعونه بعد موته؟.... كان لوكاسيو يُحادث نفسه وهو يرقب العيون من حوله، منها من تحلم بالثراء بالتودد له، ومنها من يملؤها الطمع وتتمنى فناء عائلته بالكامل، ومنها من يخفي أسرارًا مصيرية.

- أتعتقدين إنه أخبر لوكاسيوا يومًا؟

- لا أظن فتلك الحية لن تسمح له، ولهذا ترافقه حتى في موته؛ خوفًا مِنْ أنْ تفلت منه الكلمات.

مازال يسمع المزيد من الأُحْجِيات لايعرف تفسيرًا لها، ويخشى مِنْ أنْ تنكشف أمامه حين يُرفع عنها الستار فبعض الأسرار عورات من الأفضل لها الستر دومًا...

- سيدي رحل سيدي رحل....

هكذا صرخت الخادمة وهي تخرج باكية لاتملك دموعها وقد صمت الجميع فجأة، وتوجهت الأنظار للوكاسيو الذي تملَّك زمام نفسه ورباطة جأشه وتقدم بخطوات حزينه ولكنها شامخة تقدم بملامح متجمدة حتى وصل لغرفة والده؛ ليتأكد فأجابته نظرات الطبيب والقس ودموع أمه حينها ركع على ركبتيه وقبَّل يد والده مودعًا وهمس في حب:.

- لقد أحببتك دومًا ولم أشعر بقيمة كلماتي إلا حين فقدتك، فلا تفتقدني فذاك عذاب كبير أستحقه وحدي.

ثم نهض وصحب أمه المَكْلومة إلى الخارج وبدأ الجميع في معاملته على أنه سيد القلعة البيضاء.

تناقلت الأخبار مع هواء الرياح، وما أن وصل الخبر إلى خيمة العجوز إيفون جدة جيني حتى أجهشت في البكاء وسُمِع نحيبها وندبها في الأرجاء، وطلبت من جيني عدم مقاطعتها وخروجها من الخيمة والتزام الحداد مع الناس وظلت بخيمتها تقيم الطقوس تارة وتارة تصلي تقرأ الأوراق في جنون وتتطلع للنجوم.

- ما بال جدتك ياجيني فهي حزينة أكثر من أهل القلعة؟
- لا أعرف حقًا يا إبراهام ولكن لجدتي نظرة في الحياة وربما تستشعر الخطر بموت سيد القلعه، فهو من كان يسمح لنا بالوجود ويمنع عنَّا المضايقات وكنَّا ننال منه الهدايا. ربما كل هذا سيتغير بموته، فولده متعجرف وزوجته قاسية القلب.
- ربما ياجيني ربما.

حملت ماريان نفسها سريعًا لغرفتها مصطنعه التعب والحزن والإعياء. وما إن وصلت حتى خلعت ثوب الحملان وظهرت كحية رقطاء. لم تخفِ ماريان حقيقتها وبدَّلت جلدها سريعًا كل ما تغير هو ردائها صار لونه أسود كقلبها، وبدأت في بث السم في أذن لوكاسيوا مستغلة مشاعر الحزن بداخله.

- صغيري الوحيد لقد أصبحت السيد الآن ولابد للجميع أن يشعر بهذا، سنقيم مراسم عزاء تليق بوالدك ولكن علينا أولًا أن نطرد هؤلاء الطفيلين من أرضنا سيهزأون بمصابنا ويمارسون رقصاتهم وهرطقتهم المعتادة حتى الأسقف يوافقني طهّر أرضنا منهم قبل مراسم الدفن.

خرج لوكاسيوا وهو عازمًا على هدم خيام الغجر فهو لم ينس، بعد الإهانة التي تعَرَّض لها على يد تلك الغجرية

- لوكاسيوا... لوكاسيوا.. إلى أين؟ عزائي لك يارجل
- أرمنيوا! أنت بخير؟.

- نعم ياصديقي وحضرت فور سماعي للخبر.
- ومن أبلغك بهذه السرعه؟!
- صديقتي فيكتوريا كانت عند الغجر تغدق عليهم الهدايا؛ لنجاتي فوجدتهم في حداد ومدام إيفون تنتحب في خيمتها.
- ماذا! ماذا تقول؟
- ما الذي يدهشك إنهم يقدرون والدك جداااا حيًا وميتًا.

حاول لوكاسيو استيعاب مايحدث فكل الأشياء حوله تحمل رؤتين ماعدا يعرف، وشعر لأول مرة إنه كان بعيد عن والده وأهل القلعة وكل مايحيط بها، وأخذ يتساءل عن مايخفيه القدر له.

خالف لوكاسيوا أوامر أمه وأقام قداس العزاء وأتم مراسم الدفن في وجود الغجر على أرضه. كانت الكنيسة تعُجُّ بأهل القلعه كبار القوم ورعاياهم، الجميع حرص على توديع السيد ذي القلب الرحيم وشعر الجميع بالشفقة على لوكاسيو فقد كان واقعا بين فكي الرَّحى: أمه ماريان، وزوجة المستقبل فرنشيسكا.

كان لوكاسيوا يشعر بعيون سيدة تراقبه طوال الوقت ولكنه لم يتبين ملامحها قط، فقدكانت تُخفي وجهها بقطعه من القماش المزخرف أخفت وجهها، ولكنه لم يعد يتحمل كل تلك الأُحْجِيات.

- أرمنيوا..

همس في أذنه بصوت خافت وأجابه أرمنيوا بنظرة العين.
مرت مراسم العزاء في هدوء ولكن عند الغجر كان الوضع مختلفا.
- جيني لابد أن نغادر فورًا، فتلك أراضي ملعونة لايموت فيها إلا القلوب الطيبة.
- جدتي... لما ذا لا تصارحيني بما تخفين كل تلك السنوات تصرين على الحضور لتلك البلدة المقيته كل عام والآن تطلبين من الجميع الرحيل.،ماعُدتُ أفهمك.
- صغيرتي أمام كل حقيقة حجاب إن كشفناه في غير وقته عُميت أبصارنا.
- أُحْجِيات.. أُحْجِيات لقد مللتُ حقًا.

غادرتْ جين الخيمة غاضبة وتجاهلت نداء جدتها وأسرعت في الركض للجبال، ولم تتوقف إلا حين سمعت صوت صليل خناجر وأصوات معركة دائرة لتجد شاب في منتصف العشرين أو تخطاه يدافع عن حياته أمام لصين تربصوا به، فرفعت تنورتها وأخرجت خنجرها وصوبته بكل مهارة لصدر أحدهم فتمكن هو من قتل الآخر، بعد أن فرغ من معركته ركض في اتجاه جيني.

- أنتِ شجاعة جدًا آنستي.
- جيني أُدْعى جيني والشجاعة كانت في موقفك، أنا فقد حاولت أن أنهي الصراع بشكل أسرع لا أكثر.

- أنا النبيل... نيبال أقطن في الأراضي المجاورة، وقدمت لتقديم العزاء في سيد القلعة.
- أكمل مسيرك سيدي فأنا أحفظ تلك الجبال وهي تعرفني.
- سأعاود لرؤيتك ثانية جيني، فأنا مدين لكِ بعمري.

وأطمع في أن أعرف مايخفيه القدر لي من خلالك، فلابد أن أقرأ طالعي يوما عندك.

- سأنتظرك سيد نيبال.... إلى اللقاء

أمتطى حصانه وعاد لمتابعة طريقه وهي ترقبه وهو يدير وجهه مرتين، ويلوح لها بيده كان شاب ذا ابتسامة صافية غير متكبر، يبدو كفارس على فرسه شعره البني كان يلمع تحت خيوط الشمس.

وبشرته البرونزية رائعة بكل تفاصيلها.

في المساء وجد أرمنيوا طريقه لأذن لوكاسيوا؛ ليهمس له تبسم لوكاسيوا في إيماءة منه شكرٍ وإمتنانٍ لأرمنيوا.

- أنظر من حضر.. إنه نيبال. (نطق بها أرمنيوا ليلتفت نظر لوكاسيوا للضيف القادم له).
- أعتذر عن التأخير ياصديقي فقد رافقتني المشاكل كعادتي..
- لصوص؟! (نطقها لوكاسيو بسخرية، فلطالما تعرض نيبال لذلك النوع من المشاكل وكان يتغلب عليه)
- نعم وكعادتي تغلبت عليهم.

هنا قاطعت فرنشيسكا كلامهما وتدخلت، وكأنها زوجة لوكاسيوا تتأبط ذراعه وتقف بجواره

- لابد وأنهم من الغجر هؤلاء البربر لابد من حرقهم.
- ولكنهم ليسوا منهم سيدتي.بل تم إنقاذي .

قاطعته ماريان بصوت مرتفع وكأنها وجدت ضالتها؛ لتثبت للجميع أنه من الضروري طرد الغجر.

- نيبال ياعزيزي بل كل اللصوص منهم فقد استغلوا فرصة موت سيد القلعة؛ ليشيعوا في أراضينا الفساد لم يستطع أرمنيو أن يحكم لسانه فنطق دون تفكير وهو يتوجه بنظراته لماريان وفرنشيسكا.
- بل هم أشرف بكثير من العديد من النبلاء، وقلوبهم صافية كالحقول الخضراء وثَكَالى على موت سيدي.

لم تتطق السيدتان بكلمة وآثرتا الا نصراف من المكان للشرفة في تصنع بالضيق والاختناق.

عادت جيني وهي أكثر هدوء فأسرعت جدتها لاحتضانها.

- أسفة ياجدتي.. فأنا سريعة الغضب وأنت دومًا تتحمليني.
- صغيرتي أنا كل مالديكِ في الحياة، وأنت الحياة كلها لي. تذكري دومًا محبتي لكِ
- لا تغضبي جدتي سأتحضر للرحيل غدًا ونرحل بعد غد كما تودين.

- أحسنتي جيني أحسنتي التفكير بُنيتي.

احتضنتها إيفون وهي تتطلع بعيون يغزوها الخوف تتطلع للقلعه البيضاء.

ما إن انصرف الجميع، حتى تسلل لوكاسيوا لحصانه وبرفقته أرمنيوا رافقه لمنزل تلك السيدة التي كانت تراقبه بنظراتها فلقد تابعها أرمنيوا كما طلب منه لوكاسيوا، وعلم مكان منزلها فوجدها سيدة وحيدة تقطن في منزل متطرف بعيدًا عن البلدة تخرج دوما متخفيه تخفي وجهها وراء برقع من قماش الدانتيل.

وما إن وصلا وترجلا عن الأحصنة حتى شعر لوكاسيوا بهبوب رياح باردة فشعر بالقشعريرة، وانتابه الفضول حول تلك المرأة وهل تخفي سرًا أو قصة يجهلها؟

سار الاثنان بخُطى حذرة وتقدم لوكاسيو للبوابة فقرع الباب لم يطل انتظارهما كثيرًا فسرعان ما انفتح الباب لتخرج منه سيدة في الأربعين من عمرها رفعت نظرها للوكاسيو متجاهلة وجود أرمنيوا.

- لقد انتظرت قداومك طويلاً، سنوات مرت وأنا أنتظر تلك اللحظة سيدي.

وسط ذهول لوكاسيوا وأرمنيوا، أشارت لهما السيدة لتسمح لهما بالدخول لمنزلها المتواضع.

- لا تتعجب سيدي فأنا أملك الكثير الذي تحتاج معرفته وكنت أظن سيدي سيخبرك، ولكن قدومك لي الآن وذهولك يُثبت لي أنه

لم يتمكن من إخبارك يوما وترك لي هذه المهمة. فكما ترى منزلي متواضع وأنا لا أعمل، والتزم منزلي طيلة الوقت لا أخرج إلا للحاجة، ولكن والدك سيدي الرحيم كان يتولى أمري ويتكفل برعايتي هنا قاطعها لوكاسيوا..

- ولمَ يتكفل والدي برعايتك من تكوني؟!
- أنَا كنت مدبرة منزل عمك فيليب ورافقته حتى لحظاته الأخيرة، فقد مات في سن صغيرة بحمى مجهولة أصابته لوقت طويل ثم مات ذات ليلة باردة.
- فهمتُ... أبي يكرمك إكرامًا لذكرى عمي.
- ليس لهذا فقط سيدي.
- أفصحي عن كل شيئ لامزيد من الأسرار.
- كان والدك يرعاني لأني الوحيدة التي بمقدورها إثبات نسب الطفل لعمك.
- طفل!! أي طفل تقصدين؟ عمي لم يتزوج ولم ينجب.
- بل تزوج وأنجب وقتلت زوجته ولا نعلم مصير طفله.

كان هذا منذ زمن أحب عمك فتاة غجرية ووهبها قلبه، مخالفًا كل الأصول والعادات وتعلق قلبه بها حتى أنه تزوجها خارج البلاد فقد تتبعها، وسافر في إثرها وتزوجا وعند عودته أخبر والدك، ووالدك نصحه أن يجعل الأمر سرًا حتى تنجب حتى لايتعرضان للأذى.

- ومن ذاك الذي يستطيع أذيتهما؟؟

لم تجب مارية وأطرقت رأسها في خجل وصمت، ولكن لوكاسيوا ظل يكرر السؤال وهي تتجنب الإجابة وهنا طلب منه أرمنيو التوقف؛ لتكمل كلامها.

- سيدي لوكاسيو حدث ماكنا نخشاه جميعًا، ففي يوم ما خرج والدك في رحلة صيد وكانت الحمى تزداد على عمك وآلام المخاض أرهقت سيدتي الصغيرة كثيرًا، فخرجتُ مسرعة أحاول أخبار أهلها لمساعدتي في الولادة، وبالفعل حضرت سيدة منهم وأعانتني على إخراج الطفل بسلام وحين أحضرت لها مايلزم كان الطفل مدثر بردائه في فراشه وكان مايميزه رسم طائر على عنقه من الخلف كان طائر أسود مرسوم بدقه من صنع القدير، ما إن خرجتُ أنا والسيدة؛ لنبشر سيدي بميلاد الطفل حتى وجدنا سيدي فارق الحياة فبكيت عند فراشه وعادت السيدة لسيدتي؛ لتواسيها وعندما تمالكت نفسي وذهبت بعد فترة في إثرها وجدت سيدتي فارقت الحياة والطفل غير موجود، والسيدة تنتحب وتصرخ بأنَّ هناك مَن قتل سيدتي وخطف الطفل .حاولنا كثيًرا يومها البحث عن الطفل وانتظرنا قدوم سيدي وأخبرته الغجرية عمَّا حدث لكنها لم تستطع رؤية وجه القاتل ومن وقتها ووالدك يرعى الغجر إكراما لأخيه، ولم يكُف يومًا عن البحث عن الطفل ذو الطائر على عنقه.

- والقاتل!!! مارية ،أشعر بمعرفتك له ووالدي كان يعرفه فلا تخفي عني شيئا.

كادت مارية تحت ضغط أرمنيو ولوكاسيو تنطق باسم القاتل الذي بدا في عيونها معرفتها له، ولكنَّ القدر لم يسمح لها فقد أصابها سهم قاتل في صدرها لفظت روحها فورًا. التفت لوكاسيو خلفه وهرع أرمنيو للخارج يحاول العثور على القاتل، وتتبع حركته ولكن الأشجار الملتفة والظلام الدامس لم يساعدانه، فعاد للوكاسيوا خالي الوفاض.

- من فعلها؟؟ لابد وأنه القاتل تبعني لهنا وقتلها، أنا مَن عرضتها للقتل بعد أن أختفت كل تلك السنوات.. أنا. أنا
- لوكاسيوا هَوِّن على نفسك، فالقاتل كان يعرف مكانها طوال الوقت.
- ماذا تقصد؟ أنا لا أفهم.
- القاتل حين خرجتُ لتتبعه ضللت أنا طريقي بسهولة؛ لأني أجهل المكان ولكنه وجد طريقه سريعًا للتسلل والفرار، وهذا يعني معرفته بالمكان.
- ولماذا لم يقتلها إلا الآن؟
- كان سيقتلها من قبل لو وجد الطفل، كان سيقتلها حتى لاتثبت نسبه وقتلها الآن لأن والدك مات وهو من كان يشاركها معرفة السر ويحميها، وبموته الآن لن تعد لها حماية، فكان يجب

التخلص منها؛ حتى لايكتشف أحد قصة الطفل وهو الوريث الشريك لك.

- لم أفكر من قبل في أن ذاك الطفل سيشاركني الإرث.
- هذا حقه ياصديقي، وأعلم من داخلي أن هذا لن يمنعك من البحث عنه.
- مؤكد سأبحث عنه فتلك رغبة والدي وهو من دمي. أمازلت لاتعرف صديقك يا أرمنيوا!
- لم أشك بك يوما ياصديقي، ولكن عليك الآن حماية الغجر نفالقاتل سيحاول التخلص منهم وربما قتلهم.

انطلق الصديقان صَوْب خيم الغجر؛ ليجدا كارثة كبرى في انتظارهما ما إن وصلا، حتى وجدا ألسنة اللهب ترتفع والخيم تحترق وصرخات وتدافع، والجميع يحاول إخماد النيران بماء النهر، هرع أرمنيوا ولوكاسيوا للمساعدة وبعد وقت ليس بقليل خمدت النيران، ولكن الخسائر كانت فادحة فلقد تفحم كل شئ كل مايملكون، ولكن الخسارة الكبرى موت مدام إيفون وأخرين من العجائز الذين لم يتمكنوا من الفرار من حصار النيران واختنقوا بالأدخنة كانت جيني في حالة يُرْثى لها، احتضنها إبراهام وحاول يُهدئ من روْعِها، ولكن فجيعتها كبيرة حاولت قدر المستطاع إنقاذ جدتها، وأخرجتها من الخيمة حتى إن ملابس جيني جزء منها كان محترق بذلت كل مافي وسعها، ولكن لافائدة فقدكانت خُطى الموت أسبق منها سرعان ماصعدت روح جدتها للسماء؛ لتموت بين يديها.

تلفت لوكاسيوا حوله ليجد كل شيئ وقد أصبح رماداً، وأناس يعانون من الحروق، وأناس منهكون من تسابقهم لإطفاء النار حتى أنه وجد من بين الوجوه صديقه نيبال.

- نيبال.. مالذي جاء بك هنا؟ أخبرني مالذي حدث؟

حاول نيبال التقاط أنفاسه وبدأ في سرد أحداث الليلة.

- كنتُ قد وعدتُ جيني بالعودة لهنا؛ لتقرأ لي طالعي ولكن جدتها مدام إيفون طلبت مني اصطحبها للنهر لتقرأ لي؛ لأنها ستمارس بعض الطقوس داخل خيمتها وبالفعل خرجنا كانت حركة البيع والشراء على مايرام، وكان الجميع في حداد على والدك، فلم يكن هناك موسيقى أو رقص أو غناء، توجهنا صَوْب النهر وفي حين كنت أتحدث مع جيني عن الغجر وأصولهم، سمعت وَقْع أقدام خيل ظننتهم مزيداً من النبلاء ولكني سرعان مارأيت ألسنة النار ترتفع والدخان يغطي زرقة السماء، عَدْوَنا بكل سرعتنا لنجد مارأيت فانخرطت مع الجميع في محاولات الاطفاء، ولكنني تمكنتُ من رؤية عدد الخيول كانوا ثلاثة وعُلِقت الصلبان حول عنق الخيل، ولم أتبين الفرسان لأنهم من ظهورهم.

أمسك لوكاسيوا رأسه وهو لايصدق مايحدث فقد كانت الأحداث كثيرة لليلة واحدة.

- لوكاسيوا.. يجب أن تستجمع قوتك هؤلاء الناس في حاجة لنا، هيَّا لنرى ما الذي يمكن أن نقدمه لهم.

نهض لوكاسيوا مع أرمنيوا وامتطى فرسه.

- ساعدهم على دفن موتاهم، وسأحضر المُؤن من القلعة ليرتاح الجميع حتى الصباح.

انطلق لوكاسيوا وصَحِبه نيبال صَوْب القلعة وأيقظ الجميع بصوت جهور، وطلب من الخدم تحضير كل ما يأمر به نيبال في حين توجه لغرفة أمه (ماريان)

- لوكاسيوا... ماكل تلك الضجة وكيف تجرؤ على إيقاظي في هذا الوقت من الليل؟!

- وهل كنتِ حقًا تغطين في نوم عميق؟!

- مانبرة السخرية تلك التي تحادثني بها؟ماذا دهاك؟

- أكنت تعلمين بأمر زواج عمي من الغجر وطفله المفقود؟

- أهذا ماجعلك غاضبا !نعم علمتُ من أبيك بهذا العار بعد أن قُتلت العاهرة وخُطِف طفلها.

- أوَلمْ تعلمي بشأنهما من قبل؟

- محال... إلى ماذا ترمي؟ أجننت لم يجرؤ والدك على اتهامي يومًا.

- أوَلمْ تحرقي خيام الغجر الليلة؟ ليرحلوا من هنا كما رغبتِ دومًا.

- لوكاسيو.. ألزم حدك. فأنا أمك ولست ببربرية رغبتُ دومًا في رحيلهم خوفًا من تكرار فضيحة عمك ولكني لستُ بمجرمة لأقوم بحرق خيمهم وتعريضهم للموت.

- لتعلمي أنهم لن يغادروا أرضي بعد الآن وسأوفر لهم كل مايلزم.
غادر الغرفة بعد أن صَك الباب خلفه بقوة، وماكان من ماريان إلا أنها ألقت بفرشاة شعرها صوب المرآة بقوة؛ لتنفس بكسرها عن غضبها.
- هل كل شئ جاهز يانيبال كما ينبغي؟
- نعم ياصديقي حتى الملابس والغطاء، وفرت لهم كل شيء، أخبرتُ التجار إنها أوامرك فأمدوني بكل شيء.
- جيد... جيد جداا!!.. ألبرت.. أدفع للتجار ثمن ما أخذنا منهم من خزينتي الخاصة مفهوم.
- مفهوم سيدي.
نطق لوكاسيوا كلماته وهو ينظر لأمه عبر نافذتها، وشد على لجام فرسه وانطلق صَوْب الغجر محملًا بكل مايلزمهم، بدا له المشهد من بعيد حزين وكأن شبح الموت ألقى بظله على بلدته، فموت والده صحب معه العديد من الأرواح وكان كلما اقترب فرسه وحاشيته من خيم الغجر سمعوا نحيب تنفطر له القلوب، فالأصوات التي اعتادت الغناء غلفها الحزن والشجن برداء أسود كصوت الغربان التي وقفت على الأشجار كنذير سوء لما سيأتي به القدر من سراديب مظلمة على الجميع المرور بها..
وصلت قافلة المُؤَن وباشر لوكاسيوا بنفسه توزيع كل شئ، وعاونه صديقاه نيبال وأرمنيوا، وقدم العديد من النبلاء من الذين استعان بهم لوكاسيو وأرسل في طلبهم هم وخدمهم ؛ لم تجْفل عينا نيبال عن جيني لحظة كان كلما تحرك نظر صوبها، ولكنه لم يكن وحده فالوكاسيوا أيضًا

لم يشح بنظره عنها، أخذ يَرْقب صمتها ثباتها تحجر الدموع في مقلتيها ممازادها لمعانا وبريق ثوب الحزن الَذي يكسوها، بدت له كالشمس في لحظات الكسوف وظل يأمل أنْ تنقشع الغمامة؛ لتنير بضحكتها ومرحها من جديد، ولكن هل من الممكن أن تشرق من جديد؟؟ كانت أول مرة لقلب لوكاسيوا كل شيء جديد عليه، مشاعر متزاحمة من الرحمة والقلق والشعور بالمسئولية وثقل يشعر به على كاهله كل ذلك غير لوكاسيو المتعجرف الذي كان يفكر يومًا في الانتقام من غجرية من فتاة، وأخذ يرقب الشبان يبحث بنظراته عن ذلك الطائر الأسودولكن لم يتمكن.

- لوكاسيوا... لوكاسيوا. .هل وجدته؟
- لا استطيع فالجميع كما ترى يغطون أعناقهم بوشاح لا أستطيع رؤية عنق أي واحد منهم.
- أرمنيو دعك من هذا الأمر الآن لمَ لمْ تقوموا بدفن الموتى لقد انشغلتَ بالأحياء ونسيتَ تمامًا الموتى.
- لن نتمكن من دفنهم إلا الغد، فمن عادات الغجر أن يظل جسد المتوفَي داخل خيمته، ويقوم بحراستها ثلاثة رجال؛ خوفًا عليها من الأرواح الشريرة وفي الصباح تُدفن وتحرق خيمته بكل

ماتحتويه من أغراض له ويُدفن في كفن واسع يحتوي أغراضه الثمينة، وكذلك السيدات ويرتدين كل زينتهن وأفضل الثياب، واليوم الذي يسبق الدفن لا يأكلون فيه ولايشربون ويقل حديثهم.

- عالم غريب. الآن لا أعرف كيف وقع عمي في حب تلك الغجرية مالذي دفعه لذلك؟
- الحب ياصديقي لايعرف الطبقية وليس عليك التعجب منه، بل تعجب من الكراهية التي دفعت أحدهم لقتل سيدة تلد وخطف طفلها الصغير تلك الوحشية هي ماتخيفني حقًا.

صمت أرمنيوا وهو يتأمل المشهد الحزين لأناس لمس بداخلهم الحب والعفوية.

في الجانب الآخر كانت القلعة ذات الأسوار البيضاء تمتلئ بالسواد من داخلها وتُحاك فيها المؤامرات على موقد مشتعل بالغِلِّ والطمع.
- سيدة ماريان... تعجبت من إرسال رسولك لي في هذا الوقت المتأخر.

- معي يافرنشيسكا يجب أن تكوني متأهبة دومًا.
- مالذي حدث؟ البلدةكلها تعج بالضوضاء على غير عادتها.

- انضم لوكاسيوا للغجر وأصبح في صفهم يدافع عنهم ويقدم لهم الحماية.
- ماذا!! كيف حدث ذلك؟
- عرف اليوم سر عمه، وبعد سنوات من تربيتي له ومحاولات زرع صفاتي داخله في ليلة واحدة تحول قلبه لقلب أبيه الضعيف الرؤوف، و أسرع لخمد النيران التي أمسكت في عربات وخيم هؤلاء الحثالة المهرطقين.
- ماريان..... وهل كنتي أنت وراء حرق خيمهم؟
- لست وحدي عزيزتي.فالقس نيقولا يتفق معي، ويعمل جاهدًا لينال رضاي ليتولى شئون الكنيسة بعد وفاة الأنبا بطرس فهو ملازم لفراش المرض وسريعًا سيلحق بزوجي العزيز؛ لينعما بالنعيم سويًا ويتركا لنا الجحيم.

كل ما أريده يافرنشيسكا معرفة لأي جانب ستكونين.

- وهل تشكين في ذكائي معك
- جمييل... أحسنتي يازوجة ابني.

مهمتك هي التفريق بين أرمنيوا ذاك الكريه ولوكاسيوا حتى يسهل علينا السيطرة على لوكاسيوا وإعادته للقلعة؛ ليصبح هو السيد بحق وأنت بجانبه.

- سأفعل وسيكون لنا ولكن عليكِ أنت أيضا أن تعلني موعد زواجنا؛ حتى لاتفلت الأمور من زمام يدي.
- لَكِ هذا فقد رتبت كل شيء وأضفت تلك الأمنية لوصية والده الحبيب.

ضحكت السيدتان بشرٍ وبصوت أيقظ الخفافيش التي سكنت ظلام قلوبهما.

جاء الصباح بخيوط مغزولة بالحزن والدموع مضى الغجر؛ لدفن موتاهم والصلاة عليهم وبعد ذلك شرعوا في حرق خيم الموتى تبعاً لعاداتهم، ووسط كل هذا كان لوكاسيو ا يحاول معرفة هذا العالم الذي تجاهل وجوده لسنوات عن عمد، وبدأ يعرف من أرمنيوا المزيد عنهم.
- سأعود للقلعة وأحرص على أمان الجميع يا أرمنيوا وألبي طلباتهم.

- وأنا سأعاون أرمنيو وسأظل هنا لفترة أطول.

- جيد يانيبال فأنا بحاجة لكما هذه الفترة والآن أسمحا لي فأنا بحاجة ماسة للنوم؛ ليرتاح رأسي من التفكير.

ودع لوكاسيو صديقيه وانطلق بفرسه صَوْب القلعة وفي طريقه لمح جيني تجلس بجوار النهر وكان لأول مرة يلحظ جمالها وكأن الحزن زادها جمالًا وكساها رونقًا غريبا جعل جاذبيتها طاغية، ودون أن يشعر سار بفرسه نحوها ولكنها لم تنتبه له ولم تشعر به حتى بعد أن اقترب منها ونزل من على ظهر فرسه ولمس كتفها بيده وبعض خصلات شعرها.

- جيني....
- سيد لوكاسيوا.. عذرًا لم أنتبه لوجودك.
- أسف لخسارتك ولكن الموت حق.
- كانت جدتي تقول أن أعمارنا كأوراق شجرة وحين تهب الرياح تتساقط من الشجرة بعض الأوراق وبذلك نموت تسقط ورقة العمر عن شجرة الحياة.
- كانت جدتك حكيمة وزرعت في رأسك حكمتها.

نظـرت جينـي لعينـي لوكاسـيوا طـويلًا وهـو يتحـدث ثـم قالـت:.
- تحتاج للراحة سيصيبك الإعياء من التفكير وحين تسقط سينهار كل شيء.

- هل تقرأين طالعي الآن!!
- لا... ولكنني أراك مجهد وأخشى أن تقع من التعب وحينها سيعاود من حاول قتلنا؛ ليقتلنا بطريقة أو أخرى.
- لا تخشين شيئًا وأنا هنا وبالفعل سأعاود القلعة ؛طلبًا، ولكنْ لنا حديث طويل إن سمحتِ لي بذلك.

أومـأت جيني برأسـها وتبسـمت دليـل على موافقتهـا فودعهـا لوكاسـيوا، وتوجه لطريق عودته للقلعة.

ولكن أين الراحة المنشودة بين جنبات تلك القلعة المسكونة بالحية.، ما أن خَطى خطواته داخل القلعة حتى وجد أمه في انتظاره ومعها القس لوقا.

- عدَتَ أخيرًا من عند أولئك المُهَرْطِقين أعداء الله.

أمي.. لاتلقين التهم على الغجر كذبًا لإنك تكرهينهم.

- لستُ أدعي عليهم شيئًا إنهم هم ومعتقداتهم ضد ديننا، وينشرون فسادهم في أرضنا وأنت اليوم تقف بجانبهم.
- يابني أنا قس الكنيسة وأخبرك إنهم أهل آثام وشرور وسيجلبون لنا السوء.
- مع احترامي لك أيها القس لوقا ولكنك للآن لم ترأس الكنيسة، فالأنبا مازال حيا وأنا سيد تلك الأراضي ولن يغادر أحد أرضي مطرودًا.

تركهم في حقدهم يهمسون بالمزيد من كلمات الاعتراض وصعد لغرفته اغتسل وعمد لنوم عميق.

كان أرمنيو يحاول التقرب من شباب الغجر كل الأعمار يحاول التوصل لصاحب الطائر الأسود، في حين كان نيبال يعيد ترتيب خيمة جديدة لجيني ونقلت فيها ماتبقى من أغراضها وأضافت لها بعض ما اشتراه لهم لوكاسيو.

- ألم تفكري يومًا بترك تلك الحياة وتجربة حياة جديدة؟

- لم أعرف يوما سوى تلك الحياة عاداتنا، معتقداتنا، لغتنا، كل شيئ جدتي برعت في تعليمي كل شيئ العرافة، طب الأعشاب، تقفي الأثر، الصيد كانت دومًا تهتم بي...

نطقت كلماتها وشرعت في البكاء فاحتضنها نيبال محاولًا تهدئتها، ولكن قلبه كان يخفي حبه لها الذي وقع في فؤاده من اللحظة الأولى التي رأها فيها.

مسحت جيني دموعها، وابتعدت عن نيبال في خجل، وعادت لترتيب أغراضها.

غادر نيبال الخيمة وانضم لأرمنيوا الذي رأى أن كل الأمور قد استقرت، فطلب من بعض شباب الغجر حراسة المكان جيدًا لحين عودته هو ونيبال مرة أخرى، غادرا الاثنان أرض الغجر وتوجها لمنزل أرمنيو؛ طلبا للراحة والطعام. جاء الليل وألقى بظلاله على المدينة المُتشحة بالسواد نهض لوكاسيو من فراشه وارتدى ملابسه، وكان ينوي العودة للغجر وخاصةً جيني ولكن فرنشيسكا كانت في انتظاره لينضم للجميع على مائدة العشاء.

- وأخيًرا استيقظت.. (قبَّلته وهي تكمل كلامها) أفتقدتك حبيبي.

- فرانشيسكا.. الضيوف.
- الكل يعلم أني خطيبتك، وقريبا سنتزوج كما أوصى والدك.
- والدي!
- نعم. لا تقل لي لقد فاتتك قراءة الوصية، لقد ذكر زواجنا. أم أن لك رأيًا أخر؟!
- لا لا ولكني لم أعرف من قبل إنها رغبة والدي.

تأبطت ذراعه وعلى وجهها ابتسامة النصر؛ فلقد أحكمت خدعتها هي وماريان وصحبته للانضمام لمائدة العشاء مع الجميع ونظرات عينيها تحمل المزيد من المكر لتوقع به.

كان لوكاسيو شاردًا معظم الوقت تناول القليل من الطعام ولم يتفوه بكلمتين، ورفض الرقص معها بعد العشاء شعر بزيف تلك الحياة كان وكأنه يرى من حوله جميعًا لأول مرة بوجوههم الملطخة بالزينة وأعناقهم المثقلة بالجواهر، وشعر بالحنين لوجه جيني الجميل كطبيعة بلاده الساحرة.. فخرج للحديقة وهو يفكر؛ أحقًا هناك حب؟ وهل للحب قوى سحرية تذيب الفروق والمسافات؟؟؟؟ أيعقل أن أحب جيني؟؟ كان نفس السؤال يتردد في ذهن جيني فلا تعرف لماذا انشغل بالها على لوكاسيو؟ ولماذا تنتظر وصوله؟، وهل أعجبت به الآن؟ لإنها رأته كإنسان

أم لإن أخـــر كلمـــات جـــدتها كانـــت عنـــه قبـــل أن تمـــوت....
تسـاؤلات ومشـاعر جديـدة غـزت قلبيهمـا تلـك الليلـة وحـاول كـلا منهمـا إنكارها؛ خوفًا من وجودها.

لحقت فرنشيسكا به في الحديقة كصياد يطارد فريسته المنهكة، وقطعت عليـــه حبـــل أفكـــاره واقتحمـــت خلوتـــه وبـــدأت فـــي التـــودد إليـــه..
- أفتقدتك كثيرًا حبيبي، أعلم مدى حزنك على والدك ولكن لابد للحياة من أن تستمر، وأكثر شيئ سيسعد والدك هو تحقيق رغبته في إتمام زواجنا.

كانت تتكلم ولا تجد منه رد اً، فقد كان ينظر إليها وكأنه يرى الفراغ من حوله لايشعر بها ولا يرى ملامحها ولكن بروده هذا لم يثنيها عن عزمها، وأكملت دورها للنهاية كعاشقة شغوفه بمن تحب فاقتربت منه وقبَّلت شفتيه بوقاحة أيقظته من شرود أفكاره فأبعدها عنه بحركة تلقائية ولكن الوقت قد فات فقد كانت ماريان وسيدات آخريات في الحديقة ورأين المشهد العاطفي الذي أخرجته فرنشيسكا ببراعه؛ لتوقع به لماريان لتكمل التمثيلية.

- صغيري ما أجمل حبكما يجب أن أعلن موعد زواجكما قريبا أليس كذلك؟

أجَبْن السيدات معها بالموافقة والمباركة وتظاهرت فرنشيسكا بالخجل في حين ارتبك لوكاسيو مماحدث فغادر مسرعًا تاركًا الجميع في الحديقة، وتوجه للإسطبل فأخرج فرسه وانطلق به عائدًا للغجر.

- كيف حالك جيني؟؟
- وكيف سيكون إبراهام ،كل من أحببناهم فقدناهم في لمح البصر.
- عزائي لكِ ولنفسي فلقد أحببت دوما أيفون وأفتقدها كثيرا.
- جيني.. هل يمكننا أن نكمل كلامنا.
- لم أظن أنك ستعود اليوم. سيد لوكاسيوا.
- أنا أحترم وعدي جيني. هل تعرفيني بصديقك؟
- إنه إبراهام.
- أهلاً سيد لوكاسيو اسمحوا لي بالإنصراف.
- تفضل... يبدو فتى خجولًا وطيبًا
- هو كذلك وكان محبب لجدتي،والآن قل لي مالذي تريد التحدث عنه.

- أريد أن أعرف عن عالمكم كل شيء ياجيني فأنا أجهله.
- عالمي مختلف كليًا عن عالمك فنحن منحدرون من أصول هندية ونحن رومن فلاكس، ديانتنا المسيحية، ولهجتنا الفلاكسية نمتهن الصيد وطب الأعشاب والبعض أنشق عنا وبدأ في السرقة والاحتيال.

نعتقد أن البشر خُلقوا من ثلاثة أصول رجل أسود وهو جد الأفارقه ورجل أبيض وهو جد كل أوربي مثلك وجدنا وهو (كين)، وقد قَتل شقيقه فعاقبه الله بأن جعله هائما في الأرض.

- طالما تدينون بالمسيحية لما يكرهكم القس لوقا؟
- البعض يدعي أن جدنا (كين) هو من ساعد في دق المسمار بصليب سيدنا عيسى والبعض الآخر يقول أن كين قد ثمل من شرب الخمر ولم يهم للدفاع عن المسيح.
- عالمك غريب ياجيني وشيق كثيرًا كأني أستمع لأساطير قديمة. مضي الليل وهما يتحدثان عن كل شيئ حتى أنه قصَّ عليها كيف كانت طفولته، وبدأ يسرد لها تفاصيل حياته كان سعيدًا وهو يتحدث معها وكانت تصغي له بشَغَف وبدأت خيوط الفجر في

التسلل والظهور وهما لايشعران بمضي الوقت وكأن عالمهما انفصل من تلقاء نفسه ليكونا سويًّا بعيدًا عن كل شيء.

- لقد بزغ الفجر ونحن نتكلم..
- لم أشعر بمضي الوقت معكي فصحبتك رائعة ياجيني.
- تعالى معي سأصحبك لمكاني المفضل.

أمسك بيدها وركض معها وهو يشعر بالحرية والحب لأول مرة يدق قلبه بقوه ويشعر بهذا االإنجذاب والرغبة - لأين سنذهب؟

- سأصطحبك لكهف داخل النهر يوجد خلف الشلالات لاتراه من الخارج إلا حين نصعد للجبل هناك ممر لدخول الكهف.

صعدا سويًا وكان شغوفًا بالمغامرة حتى وصلا للكهف؛ ليرى جمالا كان يجهله فانسياب مياه النهر كان رائعاً والكهف نُحت داخل الجبل بشكل ساحر، وجيني كانت أجمل ما في المكان فقد بدت كحورية ماء بملابسها المبتله وشعرها الذي يقطر ماء وضحكتها الصافيه... كل هذا أيقظ داخل لوكاسيو مشاعر حب لم يختبرها من قبل، فهي الحياة بجمالها وحيويتها وكانت عيناها تحكي الكثير فقد ظهر فيهما حبها له.

لم يعد للإنكار مكان فذاك هو الحب هي تحبه بكل ماهو عليه وهو يحبها بعالمها بقدرها الذي خلقت له ظلا سويًّا بُرهة من الزمن داخل الكهف يتأملان الجمال من حولهما ويمسك كل منهما يد الآخر بحب ليبدأ حديث الحب بينهما، ولكن مهما طال الوقت فالواقع يفرض دومًا شروطه أُجْبرا الاثنين على العودة كلا لعالمه، ولكن بداخله قوة كبرى هي قوة الحب التي تدفعه للحياة ودعها بقبَّلة لشفتيها تلك البوابات السحرية لعالم مملوء بالجمال والرقة والحب كما يجب أن يكون. عادت لخيمتها وعاد لقصره ولكنه لم يعد لوكاسيو، فقلبه ينبض بالحب جسده يتكلم بالحب عيناه ترى كل الوجود جميلا، وأدرك كيف كان يشعر عمه وكيف أضْفى السحر عليه هالته القدسية، ولكن سرعان ماعاد العبوس لوجه لوكاسيو فقد تذكر وصية والده وزواجه المحتوم وقدر زوجة عمه والطفل المفقود. هل يمكن أن يعرض جيني لنفس المصير؟ هل سيحميها ويحمي حبهما كمايجب؟ والسؤال الأهم... هل يخالف وصية والده؟ صعد لغرفته بخُطى ثقيلة فالواقع مرير مملوء بالعراقيل والقيود، وقدماه منذ أن دخلت القلعة تعثرت بها.

- صباح الخير جيني.

- صباح الخير نيبال، أرمنيو... شكرًا لكما على كل مابذلتموه من أجلنا.
- أنتم أناس مسالمون ياجيني وواجبنا رعايتكم.
- أرى عودتكم للأعمال مرة ثانية.
- نعم يا أرمنيوا فالأحزان مكانها القلوب وعلى الحياة أن تستمر، ولقد قدم لنا سيد لوكاسيو الكثير وعلينا أن نستعيد حياتنا.
- ولكنني مازلت أخشى عليكم من هذا القاتل فقد يخطط لشيئ آخر.
- لاتقلق يانيبال فإنه لن يعيد حرقنا من الغباء تكرار الكرة مرة آخرى، ولكن الخوف من مكانة هذا القاتل ومايمكنه أن يدبر لنا من مكائد.
- ليتنا أمسكنا بأحد الفرسان فأنا لم أتبين سوى الفرس المعلق برقبته صليب، هي حقًا علامة مميزة ولكني لم ألمح بالبلدة كلها أحصنة تطوق أعناقها بصلبان ذهبية.

كان نيبال وجيني يتحدثان وذهن أرمنيو شارد اً في مكان أخر وهو يستمع لهما، فلقد تذكر لعبه قديما وهو طفل داخل الكنيسة أيام القداس

وكيف تسلل مرة حتى وصل للإصطبل وهناك كانت الخيول مطوقة بصلبان ذهبية.

- أرمنيوا... أرمنيوا

فيما شردت ياصديقي ؟

- لا شيئ لا شيئ فقط انتظر لوكاسيوا.
- لقد كان هنا ليلاً وغادر.

نطقت جيني كلماتها وشغلت نفسها ببعض الأعشاب؛ لتخفي كذبها ولهفتها وهي تتكلم عنه، فالحب هو من ينطق الآن بلسانها عنه.

- صباح الخير ...هل أفتقدتموني ؟

التفت جيني لتجده يقف ووجه يتبسم والشمس تُظهر قَسمَات وجهه، وكان ظله ينعكس على الأرض فتخيلته يعانق ظلها بحبه، وحملت عيناه بريق العشق ذاك الكائن الأسطوري الذي يغير الحياة كل الحياة لروعة لا تنضب

- صباح الخير أفتقدناك كثيرًا.
- أهلًا نيبال، أهلاًأرمنيوا

صباح جميل جيني.

ردت جيني عليه الصباح وانسحبت مُدعية انشغالها ببعض الأعمال.

ودَّعها الجميع ولكنْ قلبها لم يودع سواه.

- أرمنيو هل وجدتَ مانبحث عنه؟
- لا... توددت للجميع ولكنني لم أصل لشيء للآن
- عن أي شئ تبحثون ربما أفيدكم في العثور عليه.
- تعالوا لنسير صَوْب النهر ،وهناك نتحدث حتى لايفطن لكلامنا أحد،وعندما وصلوا وتأكدوا خلو المكان قصَّ عليه لوكاسيوا كل شيء، فعاهده نيبال على معاونته والبحث معهما للعثور على ذاك الفتى.. ابن عمه.
- يمكننا أن نقلص مجال بحثنا بأن نعرف من الشباب الأيتام الذين فقدوا الأم والأب.
- هذا ممكن يانيبال، ولكن يالوكاسيو لمَ نتجاهل حقيقة أخرى.
- أعرف مالذي ترمي إليه يا أرمنيوا، تظن أن القاتل قتل الطفل ولم يلقِ به للغجر مرة أخرى ليتولوا العناية به أليس كذلك؟.

- نعم، فمن الغريب تصور أن القاتل يرأف بالطفل ويعيده لقومه خاصةً وهو يحمل علامة مميزة على عنقه.
- ولكنني ياصديقي من البداية أعلم أن القاتل لم يخطتف الطفل.
- ماذا؟ ماذا تقصد! أنا لا أفهم؟
- حين قُتِلت الخادمة علمتُ هذا؛ لأن القاتل يتتبع كل من يعرف القصة، هذا معناه أنه يجهل مكان الطفل ولم يقتله يومًا، وصدق حَدْسي أكثر حين حُرِقت خيم الغجر، فلقد كان القاتل يعلم منذ سنوات أَنَّ الغجر أنقذوا الطفل وأعادوه لكَنَفهم ليُربَى بينهم، ولكن وجود أبي منعه من المساس بالغجر، فأنتهز فرصة موت والدي ليُنهي مابدأ.
- ولكننا لا نفهم من الذي أنقذ الطفل من يد القاتل؟
- إنها تلك الغجرية القابلة التي قامت بتوليد زوجة عمي، وعندما توفي عمي ذهبت لتخبر زوجته فأمسكت القاتل وهو متلبس بفعلته، ولكن قد فات الأوان فقد قتل الأم ولكنه لم يتمكن من خطف الطفل فقد هرب سريعا، وفي ذلك الوقت أخفت هي الطفل قبل أن تبدأ بالصراخ وأوهمت الخادمة بأن الطفل

خُطِف أخفت علينا سرها؛ لحماية الطفل المفقود خاصةً وزوجة عمي مقتولة.

- ولماذا تفعل هذا تلك القابلة؟
- لتحمي الطفل، فلابد أنها عرفت شخصية القاتل ومدى قوته ونفوذه وإنْ كان في مقدوره الوصول للطفل مرة أخرى أم لا؛ لذلك أخفته هنا بين شباب الغجر حتى لايعثر عليه.
- تفكير منطقي وذكي ياصديقي وعلينا الآن إيجاد هذا الشاب قبل أن يتعرض للقتل مرة أخرى، فقد بات القاتل الآن متأكدًا من وجوده هنا.
- نعم يانيبال... هذا ملخص كل شيئ.
- سنعثر عليه لاتقلق وستتولى حمايته ورد حقوقه له.
- تسعدني ثقتك بي يا أرمنيوا.

عاد الأصدقاء الثلاثة لمزاولة أعمالهم المعتادة على وعد بلقاء ليلي عند الغجر للسمر والبحث.

ولكن أرمنيو لم يهدأ له بال؛ ليعرف من الذي أمر فرسان الكنيسة بحرق خيم الغجر فطلب مقابلة الأنبا.

- مساء الخير يابني. يُؤسفني رفض طلبك، فالأنبا مريض جدًا كما يعلم الجميع، ولا يمكنه استقبال أحد أنا في خدمتك لحين يتمكن من الشفاء.
- أشكرك كثيرًا أيها القس لوقا، ولكنني اعتدت الاعتراف بين يديه، فهو من قام بتعميدي ولا أتوجه للاعتراف إلا له.
- كما تشاء يابني، ولكنني أذكرك أبواب الكنيسة مفتوحة دومًا لرعاياها.
- شكرًا لك.. هل يمكنني استيضاح أمر منك؟
- بالطبع. تفضل.
- إلى من ستؤول الأمور بعد وفاة الأنبا؟
- برغم أن هذا الكلام ينفطر له قلبي، ولكنني سأجيبك أنا من سيتولى الأمور بعد ذلك كما أتولاها الآن، ولكن بسلطة شرعية.
- أشكرك أيها القس وقتها سأعترف لك. طاب يومك.

غادر أرمنيو الكنيسة وقد تأكد من أطراف المؤامرة مكتملة مما لايدعو مجالًا للشك، ولكن كيف يوضح الأمور للوكاسيوا؟!

انشغل أرمنياو بخيوط المؤامرة واشتد خوفه على صديقه، فلقد بات الأمر واضحًا مما لا يدعو مجالا للشك أن ماريان هي التي وراء كل ذلك، ولكن هل تجرؤ على القتل بنفسها؟ أم إنها استخدمت لوقا لتلك المهمة، أسئلة لا حصر لها وحقائق مظلمة لابد أن يصارح بها لوكاسيوا، استعد أرمنيوا للقاء لوكاسيوا كما اتفقوا سويًّا، ولكنْ على غير موعد وبشكل غير متوقع وجد فرنشيسكا على أعتاب داره.

- فرانشيسكا!!! زيارة غريبة.
- هل كنت في طريقك للخروج؟
- نعم.
- أظنك على موعد مع لوكاسيوا.
- هو كذلك بالفعل. لماذا تزوريني؟ نحن لسنا على وفاق حتى
- تعجبني صراحتك،لطالما أعجبتني وقاحتك برغم اختلافنا، لقد آثرت أن نضع خلافاتنا جانبًا ونتفق من أجل مصلحة الجميع.
- ماذا تقصدين؟
- سأتزوج لوكاسيو وستكون أشبينه وستبارك زواجنا، وقبل أن تضحك بسخرية من قولي فكر في الآتي:

أولاً: ماريان معي بكل نفوذها، والقس لوقا الذي سيكون الأنبا قريبًا، والمال والسلطة بيدي.

بمعنى يمكنني سحقك بسهولة يمكننا أنْ نشيع أنك صرتَ مهُرْطِقا، وسنأتي بالشهود وتُحرق مثل الساحرات ولن ينقذك لوكاسيو، فلن يقف أمام قوة الكنيسة وقوانينها ويمكن أن تُقتل في رحلة صيد وتموت شابا وحيداً، ويمكن، ويمكن،ويمكن، فالقائمة طويلة ولن يخلو جرابي من الحيل يا أرمنيو.

نطقت كلماتها كحية تَبُث سمها وغادرت وتركت الباب مفتوحًا خلفها، وركبت عربتها وانطلقت الخيل وظلَّ أرمنيوا لايصدق ماسمع ولا يعرف كيف عليه التصرف، وقف دون حراك يفكر في كلماتها المسمومة، وأخذ يحدث نفسه كيف سيواجه ماريان ولوقا بعد الآن بعد أن انضمت لهم تلك الحية.

كانت جيني بخيمتها تطالع الأوراق لبعض الفتيات اللآتي غادرْن وهن يضحكن، ويتهامسن برقة دخل خلفهم نيبال - هل ستقرأين طالعي اليوم؟

- نيبال... أمازلت تريد مني قراءة المستقبل.؟

- وللأبد ياجيني...

نطق كلماته وهو ينظر لعيونها، لكنه لمح بريق في عينيها لم يره من قبل وتجنب أن يفسره.

- حسنا يانيبال لتجلس وسأطالع لك الورق ولكني لست بمهارة جدتي.

أعادت ترتيب الورق وأغمضت عيونها لبُرْهة، ثم بدأت في فتح الأوراق وبدأت في تفسير رموزها.

- أنت صديق مخلص لأبعد حد ولكنْ ذلك سيرهق قلبك، سيحالفك الحظ دومًا في حياتك وتنجح في جمع المال، سيرافقك طائر تحبه كثيرًا وستحرر قيده بنفسك.
- والعمر ياجيني؟!
- لا أحب تفسير ورقة الموت يانيبال.. أسفه.
- حسنا ياجميلتي سأكتفي بهذا الآن.

ماذا ستفعلين الآن سأُحَضِّر نفسي لحفل الليلة.

- أي حفل؟

- بعض الشبان سيعرضون الزواج على بعض الفتيات وسنقيم لهم حفل.
- ما أجمل ذلك ! سأحضره أكيد.

غادر نيبال خيمتها وتركها تستعد لترتدي ملابس مناسبة لذلك الاحتفال، وانتظر صديقيه بالخارج مع شباب الغجر.

تردد أرمنيوا كثيرًا هل يُصارح لوكاسيوا؟ ويخبره عن زيارة فرنشيسكا أم يتدبر أمرها بنفسه.

- مابالك يا أرمنيو؟ أراك منشغل البال.
- لاشيئ فقط الأمور المعتادة،وأنت لماذا وجهك عابس؟
- لقد اوصى أبي بزواجي من فرانشيسكا وأنا لا أريد، فقلبي عاشق الآن.
- ماذا !! أنت عاشق كيف ومَن؟؟!
- اخفض صوتك، لم أكن أتخيل هذا من قبل ولكنْ قلبي يعشقها حقًا يا أرمنيوا، وأخاف عليها إنها جيني.
- جيني... يا قدير.. لم أتوقع ذلك يومًا.

- هـذا ماحـدث ياصـديقي والآن لا أعـرف كيـف سـأخالف وصـية أبـي؟ وأخشـي على جيني مـنهم جميعًـا لـو علمـت فرنشيسـكا فستقتلها.
- نعم ويمكنها فعل ما هو أفظع من ذلك.

نطـق أرمنيـو بكلماتـه وهـو يتـذكر تهديـدات تلـك الحيـة لـه. زُيّنـت الخـيم جميعًـا ،وارتـدت الفتيـات الملابـس الزاهيـة الألـوان الفضفاضة، وتزينت أقدامهن وأياديهن بالفضة اللامعه وبدأ الاحتفال، فمـن عـادات الغجـر الـزواج بسـن صـغيرة وعلى الشـاب أن يلقي برابطة عنقه للفتاة التي يرغبها فإن التقطتها وارتدتها، فهذا دليل على الموافقة وإن تركتها فهذا يعني رفضها.

حضـر أرمنيـوا ولوكاسـيوا وعرفـوا مـن نيبـال كيـف سـيكون الاحتفـال، وجلسا ليتمتعا بالرقص والغناء ووجدها نيبال فرصة جيدة لرؤية عنق الشـبان بعـد خلع الأربطة عنها فلابـد أن صـاحب الطائر الأسـود سـيكون بينهم فهو بنفس السن تقريبا.

حضرت الفتيات للرقص والغناء وكذلك الشباب وانضمت لهم جيني ولم تفارق عيناها عيون لوكاسيوا طيلة الوقت، وبدأ الشبان في خلع الأربطة

والإلقاء بها للفتيات والعديد منهم وجد القبول والترحاب وكالعادة لم تقبل جيني أي شاب وغادرت لتتيح للأخريات فرصتهن، فتسلل لوكاسيو خلفها وعند ضفاف النهر ركع على ركبتيه وألقى بقلادته على قدميها فالتفت إليه وهي تكاد لاتصدق مايفعل ولكنه قال ماجعلها تصدق:

- جيني إنني أحبك ولكنني لا أعرف مالذي يُخفيه له الغد، ولا إن كان بإمكاني الإيفاء بالوعد ولكنني لا أملك سوى قلبي وهو ما أقدمه لكِ بصدق.

انْحَنت جيني والتقطت قلادته وارتدتها، فقد كان يكفيها اعترافه بحبه لها على هذا النحو.

- لتعلمْ أنني أحبك وأعلم أن هذا جنون، ولن يتركنا قومك نعلن هذا الحب.
- أتركي لي هذا الأمر ياجيني كل ماعليكِ فعله هو أن تحرصي على سلامتك ولا تغادري أرض الغجر وسأقوم بحمايتك هنا لاتخشي شيئا.

لم يعلم الحبيبان بأن هناك من يراقبهما ويحصي عليهم دقات قلوبهما فذلك الواشي كان أحد الغجر، ولكنه باع ولاءه لماريان التي عرفت بحب لوكاسيو لجيني فَجُنَّ جنونها وبدأت في الصراخ بين جنبات القصر.

- اللعنة على الغجر، اللعنة على القلوب لن أترك لهم لوكاسيو ليس بعد كل هذا لقد حاربت كل شئ؛ لينعم هو بالسلطة والمال والآن يريدون أن يشاركوني ولدي الوحيد لن يكون وإن لزم الأمر سأقتلهم جميعًا بيدي.

شعر نيبال باختفاء لوكاسيو وجيني في ذات الوقت، فصارح أرمنيو بما يشعر.

- ألا تلاحظ تغير لوكاسيو مع الغجر، فلقد أصبح يميل للتواجد بينهم.
- نعم ياصديقي وأكثر من ذلك، فهو يحب واحدة منهم.
- جيني... أليس كذلك.؟
- نعم. ولكن كيف عرفت؟ فهو لم يخبرني إلا اليوم.

صمت نيبال فلم يكن بمقدوره الكلام، فلو تكلم لشعر أرمنيوا بألم قلبه المعلق بحب جيني.

- لم أرَ للآن شاب منهم بتلك العلامة برغم إن الجميع خلع رابطة عنقه ماعدا إبراهام هل تظن إنه هو؟ نيبال فيما شردت ياصديقي؟
- لاشيء... لا شيء... لا تقلق سأبحث بطريقة أخرى؛ سأتودد للعجائز ربما يجيبني أحدهم.

عاد لوكاسيوا لقصره ليجد ماريان وقد شَحَذَتْ كل أسلحتها ضده؛ لتقضي على حبه في مهده.

لم يكن لوكاسيو يتخيل ذلك الوجه القبيح لأمه فقد أخفته سنوات عنه....

- الآن فقط عدت ألا ترى إن الوقت تأخر؟!
- ماالذي تسعين خلفه من السؤال يا أمي؟
- لاتظن يوما أني أجهل شيء داخل قلعتي أو خارجها، فأنا أملك عيون في كل مكان..
- وبماذا أخبرتك عيونك ياسيدة القصر؟

- أخبرتني عن نبتة متطفلة تحاول التسلق؛ لتزهر داخل قلعتي وتختلط جذورها ببذرة عمري.

هنا أدرك لوكاسيوا أنها كشفت علاقته بجيني وحبه لها.

- هل تعرف يا لوكاسيوا ماذا أنوي فعله بتلك النبتة؟ سأقتلعها من جذورها....
- أحذرك.. لا تتعرضي لجيني بسوء.
- تحذيرك جاء متأخرًا يا لوكاسيوا.
- ماذا تقصدين ماذا... اللعنة.

خرج لوكاسيو كالمجنون امتطى حصانه وبأقصى سرعته حاول الوصول لجيني لكنه وصل متأخرً؛ فقد كانت خيمتها متهدمة وهي مختفية وليست بداخلها ووجد جثة غجري مطعون في ظهره بداخلها.

ظل يبحث كالمجنون وأيقظ الجميع بصوته الجهور وهو ينادي في جميع الأرجاء ينادي عليها ولكن دون جدوى.

عاد للقلعة وبداخله غضب يكفي لحرقها وحرق جميع من بداخلها مخلفًا وراءه الغجر يبحثون عن جيني في كل مكان.

- أخبريني الآن أين هي؟ بإمكاني اقتحام كل البيوت للبحث عنها أخبريني ولا تجني جنوني.

كانت ماريان صامته لاتتكلم، ثم تمالكت نفسها وبدأت في فرض شروطها: تزوج فرانشيسكا ولن أقتلها وسأعيدها لقومها هي في قبضتي إلى أن تتزوج، ولن تجدها مهما بحثت.

كظم لوكاسيو غيظه وهو لايعرف كيف يتصرف، فغادر بعد أن حطم الباب الخشبي في طريق خروجه.

- أرمنيو لقد اختفت جيني..
- ماذا ماذا تقول كيف حدث هذا؟.

ألقى أرمنيوا على وجهه الماء ليستعيد تركيزه وهو في طريق خروجه من الحانة، وطلب من لوكاسيو سرد الأحداث من البداية وبعد أن سمع عنه تذكر كلمات فرنشيسكا وإدراكه لكوْن ماريان هي قاتلة زوجة عم لوكاسيوا،. كل هذا يجعله يؤمن بأن لديها القدرة لقتل جيني وإبعادها عن العيون.

- لوكاسيو... ستكون كلماتي مؤلمة لك ولكنها الحقيقة ياصديقي.

إن تمكنت السيدة ماريان من الإمساك بجيني فلن نجدها وستنفذ تهديدها وتقتلها ،وأرى أنه عليك الاستجابة لطلبها لتنقذ جيني، فالمحب يضحي دومًا ياصديقي.

لاتهدر الوقت عبثاً فالوقت ينفد من جيني.

تملك الحزن قلب لوكاسيوا، ولكن ذهنه لم يتوقف عن التفكير في جيني وفي النهاية نطق كلماته.

- أرمنيوا... مالذي تعرفه عن موت زوجة عمي ووالدتي إن كنت تعتبرني صديقك الوحيد عليك إخباري كل شيء؛ لأنقذ جيني وأنقذ نفسي.

قصَّ أرمنيو على لوكاسيوا كل شيء وباتت خيوط المؤامرة كلها واضحة أمامه أمه

ولوقا وانضمت لهم فرنشيسكا.

عاد لوكاسيو للقصر وقد عزم على وضع خطة للانتقام من الجميع.

- هل فكرت جيدًا أم ستضحي بمعشوقتك؟

- أعلني موعد زواجي وأطلقي سراح جيني، وأعدك سأخرجهم من البلاد.

جاء الصباح حزين وخيوط الشمس مصحوبة بقطرات مطر ناعمه وكأنها دموع السماء على تلك الجميلة المفقودة.

وانتشر في أرجاء المدينة خبر زواج لوكاسيو بعد ثلاثة أيام، وكان أرمنيو يستمع للخبر وكأن غراب ينعق في المدينة لينذر بالشؤم .

استلم نيبال دعوة لحضور زفاف لوكاسيو أخذها وهو في حيرة من أمره، وأخذ يتسائل كيف يقدم صديقه على الزواج وقلبه يدق بحب جيني؟

- سيدي لقد استعادت سيدتي وعيها وهي في أتم صحة
- شكرا لكِ يا ليز، سأذهب إليها وجهزي أنتِ مأدبة فيها مالذ وطاب.

قرع نيبال باب غرفة فأجابه صوت جيني بأن يدخل.

- جميلتي لا أصدق عيناي أنت في أتم حال.
- مالذي يحدث يانيبال.. أنا لا أتذكر سوى طعنة تلقيتها في كتفي فقد كنت مستغرقة في النوم.

- الحمدللقدير ياصغيرتي لقد دخلت خيمتك في الوقت المناسب لقد كنت أتجول عند النهر ثم قررت أن أحادثك في أمر فذهبت لخيمتك لأدعوكِ للخروج معي ،فرأيت أحد الغجر يدخل خيمتك فشعرت بالقلق فدخلت وراء منه ولكنه كان طعنك فتعاركت معه وطعنته حتى مات، ثم صحبتك على ظهر فرسي وغادرت أرض القلعة، وعدت لمنزلي والطبيب طمأنني عليكِ فقد كان الجرح سطحي.
- لابد أن يخبر أحدهم لوكاسيو لابد من انه قلق الآن ويبحث عني.
- لا أعرف ياجيني !هل أخبره أم نتجاهل الأمر؟
- لماذا تقول هكذا؟! لوكاسيوا يحبني ولابد أنه قلق الآن.
- إن كان يحبك لما لم يوفر لكِ الحماية اللازمة، فلابد أن ذلك الغجري قد دفع به أحدهم لقتلك وأنا أشك في السيدة ماريان أو فرنشيسكا.
- من فرنشيسكا تلك؟
- هي خطيبته وقد أُعْلِن خبر زفافهما بعد ثلاثة أيام.
- ماذا...؟!

لم تنطق جيني بعدها بكلمة والتزمت الصمت وتحجرت الدوع في مقلتيها، فقد كانت أظافر الكبرياء تمسك بأهدابها لتنسج منها ستارًا يمنع رؤية الدموع التي لمعت بعيونها الحزينة المتعبة.

احترم نيبال حزن جيني العميق فغادر الغرفة في صمت ولكن تَوَّلد بداخله صراع بين ضميره وقلبه، فقلبه يتمسك بجيني لايريد إعادتها للوكاسيو ويرى في مايحدث فرصته الذهبية،ولكن ضميره يذكره بواجبه نحو صديقه وعهده له، فالواجب عليه يخبر لوكاسيو بمكان جيني ويعرف سر مايحدث ولمَ أقدم على الزواج من تلك البومة،. دارت رأسه في كل اتجاه ولكنه في النهاية أتخذ القرار الصحيح فخرج للقاء لوكاسيو.

عندما وصل كانت البلدة كلها ترتدي ثوب الأفراح والزينة معلقة في كل مكان، ظل يتأمل مايحدث وهو في طريق بحثه عن لوكاسيو أو أرمنيو.

- وأخيرًا وجدتك ياصديقي..
- نيبال.... أين ذهبت وتركتني؟ أمور كثيرة حدثت.
- أعلم بها وعندي لك خبر سيبهجك ولكن تعالى في مكان ليس له آذان.

اصطحبه لوكاسيو للنهر حيث كان يذهب مع جيني؛ لينعما بحبهما.

- مالخبر يانيبال فرأسي به الكثير من الأمور.
- جيني... عندي.
- ماذا... هل هي معك حقا؟ هل هي بخير؟

أكمل لوكاسيو كلامه وعيونه وصوته بهما لهفة عاشق أدرك منهما نيبال مدى عشق لوكاسيوا لها، فقصَّ عليه كل ماحدث وبادل لوكاسيو الكلام فأخبره بالموقف المعقد الذي فرضته عليه والدته بسبب خداعها له. خرج الصديقان وقد عزما على ماسيفعلانه للتخلص من أطراف المؤامرة.

توجه لوكاسيوا للقس لوقا طالبا مقابلته على انفراد.

- سيد لوكاسيوا لقد علمتُ برغبتك في لقائي على انفراد.
- نعم يالوقا فنحن بحاجة لنتفق سويًّا على خُطى المستقبل.
- تفضل إني أسمعك وكلي أذان صاغية.
- أمي وفرنشيسكا لايمكن أن يدوم الحال بينهما كثيرًا، فكل منهما تملك قوة وإرادة ولكن أيام والدتي في الحياة تنحسر فأي جانب ستختار؟

- سأختارجانبك وجانب السيدة فرنشيسكا، ولكن تعدني أكن الأنبا بعد موت الأنبا الحالي.
- لك هذا، ولكن يجب أن تمنحني الأسباب التي بموجبها أحكم على أمي بالنفي للدير مدى الحياة.
- لك هذا سأتقابل معها في مكتب والدك وسأمنحك ماتريد، وعليك أن تمنحني ورقة ترشيحي للمنصب.
- اتفقنا، موعدنا قبل حفل الزفاف بساعة.

أفترق لوكاسيو ولوقا، وقد أمسك بأول طرف للخيط لينسج كفن الجميع.

عاد نيبال للقصر وقصَّ على جيني كل شيء ومن قلبه خرجت الكلمات دون إرادته.

- لتعلمي أني أحببتك من النظرة الأولى، ولكن حبك لصديقي وحبه لكِ يدفعني لأجمع بكما سويًا، فالصداقة أنبل من كل المشاعر وحبي لكِ يسعدني ويكفيني أن أراكِ سعيدة.
- كنتَ تُخبئ كل هذا الحب بقلبك.. أنت تملكت قلبي كصديق وأخ وإن لم يكن قلبي قد أُسر لوهبتك قلبي عن رضا.

- لاتضيعي الوقت هيَّا ارتدي ذاك الفستان، وسأجعل ليز تجهزك كأميرة من النبلاء يجب أن تبهري كل من في القلعة.
- أنا!!! أنا سأصحبك للقلعة كيف، وقد حاولوا قتلي.
- لاتخافي ستكوني بأمان معي ومع لوكاسيو وستنقشع الغيوم اليوم؛ ليزهر الربيع بزهوره جميلتي.

تخفَّى أرمنيوا وهو ورفيقه ودخلا القلعة سرًا، وتوجها لغرفة المكتب وبعد قليل حضر للقلعة بعض من المجلس الكنسي وكان في استقبالهم لوكاسيوا واصطحبهم للمكتب، كل هذا في غفلة عن عيون ماريان التي كانت منشغلة بالترتيب لعرس أسطوري.

تزينت جيني وخرجت فكاد الدمع ينفرط من مقلتي نيبال؛ فحبيبته في أروع صورة لها سيدة راقية بمعنى الكلمة، ووجه ملائكي وجمال طبيعي، ولكنه سيصطحبها لغيره.

- هل أبدو بشكل جيد؟
- أنت رائعه جدا جدا!!. هل تسمحين لي أهديكِ تلك القلادة.
- شكرًا لك نيبال لن أنسى فضلك هذا.

استدارت جيني وكشفت عن عنقها قليلا ليطوقها بقلادته، ولكنه ابتعد وسقطت القلادة من يده في دهشة جعلته يصيح:

- غير معقول الطائر لفتاة.... أنتِ!!! أنِت ياجيني!
- مالذي يحدث طائر ماذا؟
- ذاك الطائر على عنقك.
- تقصد الطائر الأسود، لقد وُلُدتُ به ولكن جدتي حرصت دومًا على أن تخفيه عن العيون وقد كانت تقول لي إن بعض الناس سيظنون بي شرًا، فدوما كنت أخفيه ولم يره أحد قط.
- جيني... ألم تقصُّ جدتك عليكِ أي قصة أي شيئ عن والدك أو والدتك.
- لا.. فقد كانت دومًا تتكلم بالأحْجِيات، فقبل أن تموت في تلك الليلة مثلاً أعطتني خاتما وقالت لي من يملك الخاتم هو سر تعاستي.
- أي خاتم اين هو؟
- هاهو.... مابال ذلك الخاتم.
- من يملك ذلك الخاتم هو من قتل والدتك وحاول خطفك وجدتك كانت تعرف ذلك وكانت تحميكِ طوال الوقت والدك هو

عم لوكاسيو، سأقصُّ عليكِ كل شيئ في الطريق ولكنني سأظهر عنقك وأرفع خصلات شعرك؛ لينكشف القاتل لنا الليلة.

خرج نيبال متوجها للقلعة وهو في شوق ليخبر صديقيه كل شئ. وصل نيبال بصحبة جيني وقد كانت القلعة مزينة وفي أبهى صورها، دخلت جيني معه كسيدة راقية وبهرت الجميع بروعة صورتها وزاد تحديق العيون لها بسبب الطائر على عنقها، كانت فرنشيسكا تزهو كطاووس في كل مكان ترحب بالمدعوين في حين اختفى لوكاسيو، وظهرت ماريان تقبِّل العروس وترحب بالجميع، ولكنها حين أقدمت لتصافح جيني وترحب بنيبال؛ تسمرت مكانها واتسعت حدقة عينيها عندما رأت عنق جيني فتلعثمت ولم تنطق بجملة مفيدة وكادت تسحق أصابع جيني بين يديها، فوقع الخوف في قلب جيني وأدرك نيبال وقتها أنها القاتلة.

- سيدتي هل تسمحين بدقيقة من وقتك بالمكتب قبل بدء مراسم الزفاف.
- مالذي تريده يالوقا؟ ألا ترى كل مافعلناه ضاع سدى الطفل كان فتاة الطفل صاحب الطائر الأسود وريث القلعة بالشراكة مع لوكاسيوا فتاة، أوَ تعرف من هي؟ حبيبة لوكاسيو جيني تلك الملعونة قتلتُ أمها قديمًا وذلك بعد أن أخبرتني بسر زواجهما،

وحاولنا قتلها وقتل تلك العجوز التي تملك خاتمي ولكنكَ فشلت أنت وفرسانك وهاهي النتيجة الفتاة تحيا بيننا.

- اصمتي اصمتي يامارياان لاتتكلمي.
- مما تخشى فسرعان ماسينكشف كل شيء لو كانت تملك خاتمي أو لاتملكه فالوكاسيو سيعرف أنها ابنة عمه ،وإنني لا أحبسها عندي كما كذبت عليه سيعرف بتورطك في الأمر.
- وأنا لا أحتاج أكثر من هذا يا أمي.
- لوكاسيو...! ماذا تفعل هنا؟ ومن هؤلاء؟ مالذي تدبره؟
- هؤلاء هم رؤساء المجلس الكَنسي ومعهم الأنبا أخرجه أرمنيو من الحصار الذي كان يطوقه به لوقا؛ ليمنعه من التواصل مع الأخرين، وقد سمعوا كل شيء، فلقد أعترفتِ بقتلك لزوجة عمي ومحاولة خطف طفلتها وعاونك القس لوقا على قتل الغجر، ومحاولة قتل جيني.... مصيركما الآن بيد المجلس.

لم يتحمل القس لوقا الموقف فأسرع وألقى بنفسه من النافذة .، في حين انهارت ماريان مكانها فقد كانت تعرف مصيرها وهو النفي داخل الدير مدى الحياة.

تجمع الجميع حول جثة القس وهم في دهشة من أمرهم، وزادت دهشتهم عندما رأوا ماريان تخرج من القصر تحت حراسة فرسان الكنيسة.

في حين توجه لوكاسيو لجيني وقبَّل جبينها، وأعلن بصوت مرتفع بين الجميع:

- جيني من أصل غجري ولكنها أيضا ابنة عمي، والشاهد على ذلك الأنبا وأعضاء المجلس الكنسي وهي زوجتي المستقبلية.

وقعت الكلمات على فرنشيسكا كالصاعقة، فخرجت تجر أذيال الخيبة وسط سخرية نيبال وأرمنيوا وهم يضحكون على تراجع تلك الحية وخروجها من القصر بعد نفاذ سمها.

أقيمت مراسم الزفاف كما رتبت لها ماريان ولكنها لم تكن تعلم إن القدر سيجمع جيني ولوكاسيو في ذلك الزواج.

تمت

هنا انفجر أحد الجالسين: كذب كل ماتبثينه في عقولنا كذب لايمكن لمحب أن يهب حبيبته لغيره بل عليه تملكها للأبد .

هنا وقفت هدى في مواجهته متسائلة يتملكها وهو يعلم بحبها لغيره ينالها وهو يعلم بأن قلبها موهوب لغيره؟!

هنا أنهار باكيًا؛ لذلك كان عليَّ تشويه وجهها حتى لايملكها غيري هذا هو ما أعرفه هذا ماكان يجب أن يحدث.

بضغطة زر منها ظهر رجلان اصطحباه لغرفته بعيدًا، فقد فشل في إثبات شفائه بصورة كاملة .

عادت لهدوئها ولكنها وجهت حديثها بشكل مباشر للجميع قائلة:

حين ينفرط العقد فلايمكن جمع حباته بسهولة، وكذلك الذكرى حين تصرخ مرة يتردد صداها طويلاً داخلنا.

عادت تكمل القراءة

دماءٌ على النِّصْل

أصوات صفارات الإنذار تدوي بالمكان،وقْع الأقدام يشير إلى تجمهر الناس،أضواء سيارات الإسعاف والشرطة لازالت تلمع أمام عيونها، تحاول جاهدة بيد مدرجة بالدماء أن تلامس من برفقتها وبصوت غلبه الألم نطقت اسمه بصعوبة :....خالد..... خالد، وبعد قليل تسرب الضوء الخافت لعيونها البنية لترى فتاة شقراء تحادثها بالفرنسية، وتساعدها لتنام بشكل مريح داخل الطائرة، فتستسلم للنوم مرة أخرى دون إرادة منها

- صباح الخير يانجوان.
- طمنيني عملنا إيه؟

أجابت خالد وهي ممسكة بيده وحروفها ممزوجة بالفرح

- نجحنا نجحنا وبامتياز.

وبقينا رسميا المحاسب خالد والأستاذة نجوان،

أستاذة في الأدب الفرنسي..

احتضنها وهو مغمض العينين ورسم بخياله سنوات عمره القادمة مع حبيبة قلبه ابنة الجيران وحب الطفولة.

- خالد.. فوق إحنا قدام الناس .
- ياحياتي انتِ عندي كل الناس.
- تعرف أنا خايفة من اللي جاي.
- إحنا اتفقنا الخوف هنلغيه وهنقف نواجه ونبني حياتنا.

نظر لها بحب وهو يردد كلماته ويداه تحتضنها؛ لتشعر بالأمان فما سيقدمان عليه يعد أخطر قرار بحياتهما وقد كان.

فتحت نجوان عيونها والمضيفة تضيف لها غطاء آخر، وألقت نظرة سريعة على خالد الذي كان يتأمل كأس مشروبه المفضل في صمت فعاودت النوم ثانية ساعية لأحلامها هربا من الواقع.

- أنا أرفض الشاب ده بشهاداته، بأسرته، بأصله، ونسبه انتِ فاهمة ...؟

ده ولد اتربى بالساهل، أهله من بتوع الانفتاح وكذا مرة فهمتك إن تجار الخردة عمرهم مايتساووا مع دكتور زيي حتى لو الموازين اتقلبت.

- يابابا ده محاسب، ومن حقي اختار الشخص اللي ارتاح معاه وبعدين إحنا هنهاجر وهكمل دراسة بره، وهو هيشتغل ونبعد عن أهله وحياتهم وبيئتهم.
- على جثتي أنا الدكتور فضل الله أبو المجد أناسب حنفي مرزوق مهرب خط بورسعيد سابقا...

إنسي تعاود نجوان تتململ داخل مقعدها الوثير في الدرجة الأولى على خطوط الطيران الفرنسية، ورائحة النبيذ بمختلف أنواعه يداعب أنفها الصغير الدقيق فقد كانت تملك وجه منحوت بدقة فنان كما قال لها من قبل ألبير - رسامها المقرب (انتِ تحفة فنية) وشعرها البني الممزوج بنعومة خصلاته يغطي عيونها المغلقة والتي اختطفها سلطان النوم لعالمه الخاص.

- يلا يانجوان.

مافيش وقت للتراجع ياحبيبتي كل حاجة تمت خلاص يلا ودعي مصر وماترجعيش بذاكرتك لورا أبدًا.

- يا خالد. تفتكر والدك هيفهم بابا وماما الموضوع و هيقبلوا بجوازنا!!؟ وياترى هيكون رد فعلهم إيه؟؟ خالد..... انا خايفة أوي.

نظرت له وهي ممسكه يده وتشعر وكأنها طفل يتيم يتعلق بأطراف ثياب أمه يخفي وجهه بداخلها؛ خوفًا من الغرباء وسارت معه حتى بوابة المطار؛ لتغادر معه إلى فرنسا.

استيقظت من نومها لتجد خالد قد استسلم للنوم وقد اعتنت المضيفة به.

مررت أناملها على أطراف شعره، لاتصدق أنه مرَّ على زواجهما خمسة عشر عامًا وأصبح كلا منهما يتخطى منتصف الثلاثين، وتأملت غزو الشعيرات البيض لشعره الأسود الغزير وقسمات وجهه التي لم تتغير مع الزمن ووسامته التي تزداد كلما تقدم عمره.

هل مرت السنوات حقا سريعا؟؟ أم إنها الذكريات هي التي باتت قريبة تعاود الظهور بقوة تهاجم عقلي تحاصره ربما من سباته يفيق..... الكلمات كانت تَجُول وتَصُول في رأسها بصخب مما دفعها لفتح حقيبتها، وتناول عدد من الحبوب المنومة، لتعود لتغمض عيونها من جديد لتستيقظ على صوت خالد:

- وصلنا يانجوان .....يلا يا حبيبتي اجهزي.

هبطت الطائرة بسلام، وفتح الباب وتوالى خروج الركاب منها، وخرج خالد ونجوان التي دارت بنظرها متأملة المطار في ظل الأضواء ولاحظت الفرق الشاسع بين زمن مغادرتها لمصر والآن، فقد تطور كل شيئ. خرجا من باب كبار الزوار فمكانة خالد المرموقة كرجل أعمال، ووضع أسرته المادي المعروف يسَّر له الكثير من الإجراءات. خرجا ليجدا سيارة ليموزين في شرف استقبالهما و كان يقف بجوارها سائق السيارة الذي بادر بوضع الحقائب بها، وأحمد سعيد مدير أعمال خالد بالقاهرة والممثل الرسمي لمجموعة شركات والده.

- نورتم مصر ياخالد باشا نورتي ياهانم الدنيا كلها
- شكرا يا أحمد، مصر منورة بأهلها، ردت نجوان باقتضاب..... ميرسي لذوقك انطلق السائق يجوب شوارع قاهرة المعز الساحرة بجمالها ليلاً والتي انبهرت بها نجوان لمدى التغيير الذي طرأ على كل جوانبها.
- المجموعة أخبارها إيه يا أحمد؟؟
- كله تمام حضرتك وأنا مجهز لحضرتك اجتماع مع المستشارين، ورؤساء المجموعات كلها. بما إن والد حضرتك كانت وصيته دمج

جميع الشركات مع بعضها علشان تكون كلها تحت إشراف سيادتك بالكامل.

- طيب يا أحمد يوم راحة وهبلغك بميعاد تحدده علشان الاجتماع. هو مافيش حاجة تتشرب هنا لحد مانوصل الفيلا؟؟ولا إيه!
- فيه يافندم زيي ما حضرتك أمرت.

قام أحمد بفتح زجاجة نبيذ فاخرة معتقة وقام بصب كأس وناوله لخالد، وعرض كأس آخر على نجوان ولكنها رفضت.وأشاحت بنظرها للنافذة تتأمل الناس والطرقات لتعود بذاكرتها لحرب ٧٣وصوت عبد الحليم، ومقتل السادات، وغيرها من الأحداث التي واكبتها وأثرت فيها واختلافها السياسي مع والدها الذي كان ناصريًا حتى النخاع وحبها هي ودفاعها عن السادات، ووجه أمها الصبوح الذي تميز بجماله الفرعوني

- نجوان.... مصر خطفتك بسرعه كده.
- لا.. ياحبيبي معاكم.
- أحمد بيسألك فيه اتنين شغالات وجناييني في الفيلا تحبي أكتر من كده؟؟

- لا لا كده معقول لحد ماشوف نظام البيت ولو كده هبلغك.. شكرًا لاهتمامك.
- وصلنا يافندم.. أرجو تكون رحلتكم معايا مريحة.

تحدث السائق بأدب وترحيب وقام بفتح أبواب السيارة؛ ليترجل منها الجميع لتجد نجوان نفسها أمام قصر هائل محاط بالحراسة وحديقة شاسعه تبدو مبهرة ليلاً.

خطت أولى خطواتها داخل منزلها الجديد والتي شبهته بينها وبين نفسها بمقبرة فرعونية لما يحتويه من تحف وثُريات ثمينة، ثم أدارت رأسها لتتأمل خالد وهي تمد يدها لتمسك بيديه.

- فرعوني المحب أهلاً بك في مصر ملاذنا الأخير.

نظراتها ونطقها للكلمات جعلت قشعريرة من الخوف تسري بجسده. لايعلم سر هذا الشعور

أصاب خالد الأرق في ليلته الأولى فأمضى معظم ساعات الليل يتابع بعض التقارير التي أحضرها أحمد له سلفًا.، في حين لاحظ استسلام

نجوان للنوم العميق على غير عادتها، وبعد أن أوْشك الفجر على البزوغ داعب النوم عيونه في النهاية

في الصباح كانت نجوان بكامل نشاطها، فارتدت ملابسها وأغلقت الباب خلفها كي تتيح لخالد النوم في هدوء. هبطت الدرَج، فوجدت في استقبالها كل من لبنى وهند المسئولتين عن المنزل واللتان استحسنت مظهرهما وأدبهما في التعامل، فوزعت عليهما مهام المنزل وخرجت للحديقة في انتظار قهوتها .تجولت بأرجاء الحديقة التي نُسِقت بعناية وزُيِّنت ببعض التماثيل الرخامية المنحوته بعناية والتي استوقفها أحدهم فتأملته كثيرًا بصمت، قطع تأملها صوت هند:

- اتفضلي قهوة حضرتك ياهانم.
- ميرسي ياهند.. قهوتك مظبوطة جدااا
- أي خدمة تاني ياهانم؟
- أنتم أخوات زي القمر وأنا حابة نتعرف أكتر.
- ده شرف لينا ياهانم ووقت ماحضرتك تحبي نعرَّف حضرتك كل اللى تحبي تعرفيه عننا.
- هيحصل ياهند أكيد... اتفضلي دلوقتي.

- صباح الخير ياحبيبتي.قالها خالدوهو يجلس على المقعد المقابل لها
- صباح النور ! أنا قلت هتنام للضهر.
- لا صعب ورايا شغل كتير لازم أحضره تقارير وكده.
- تمام. يعني هتكون مشغول لحد ما أرجع.
- ترجعي منين؟؟
- هزور قبر بابا وماما وأفتح الشقة وأشوف الحاجات اللي أنا محتاجاها من هناك قبل ما أعرض الشقة للبيع.
- ماشي ياحبيبتي. نتقابل على الغدا.

قطع حديثهما صوت لبنى تعلن عن قدوم أحمد ومعه محروس السائق الجديد.

- صباحكم سعيد ياهانم.
- صباح الخير يا أحمد. ده الأسطى محروس السواق اللي قلت لي عليه.
- أيوه يافندم وتحت أمر الهانم من دلوقتي.

- تمام ياحبيبي يبقى مش هضيع وقت وهمشي ونتقابل بعدين.

قالتها نجوان وهي تنهض عن مقعدها لتستعد للمغادرة.

يومك سعيد يا أستاذ أحمد.

- يلا يا أسطى محروس مع الهانم أحضرت لبنى حقيبة نجوان وسبقها محروس للسيارة؛ ليفتح لها باب المقعد الخلفي وانطلق صوب وجهته التي حددتها له نجوان.

إمبارح تابعت التقارير يا أحمد وحددت الملاحظات لكني لسه ماانتهيت من كتابة التقرير النهائي.

تعالى في المكتب يا أحمد ناخد القهوة هناك ونتابع الشغل.

- تحت أمرك يافندم.

توجه كلا من أحمد وخالد لغرفة المكتب وطلب من هند احضار الجهاز اللوحي من غرفته.، وتحضير القهوة لأحمد وكأس له.

- إيه ده؟!.. نظر خالد للجهاز اللوحي بعيون محدقة ويبدوا عليه التعجب

- خير ياخالد باشا فيه حاجة.

- التقرير جاهز مش مجرد ملاحظات، الميزانية والدراسة الأولية للسوق..... كل ده موجود
- حلو جدا يبقى حضرتك نهيت الشغل إمبارح.
- أنا ماكتبتش حاجة. أنا سجلت ملاحظات وبس
- أكيد حضرتك اللي نهيته ويمكن من التعب نسيت.

أمسك خالد كأس الفودكا بأنامل مرتجفه ليتناوله جرعة واحدة وهو يحاول استرجاع ذاكرة الليلة الماضية ولكن دون جدوى. ما إن وصلت نجوان للمقابر حتى بدأت دموعها تنهمر دون إرادة منها، وظلت بلا حركة ساعة كاملة تتأمل قبر والديها وهي تبكي بصمت، أغمضت عيونها لدقيقتين وتذكرت مامضى.

- مات ياخالد مات.... أنا لازم أنزل مصر حالًا فاهم لازم.

فتحت نجوان عيونها على صوت محروس.

- وحدي الله ياهانم وصلي على النبي إحنا لها وإليها نعود.
- عندك حق يا محروس،خد الفلوس دي وحاسب المقرئ ووزع الباقي للغلابة اللي هنا.
- حاضر ياهانم، ولا يكون عندك فكر.

صعدت نجوان للسيارة وأخفت عيونها خلف نظارتها السوداء وهي تبدو أكثر قوة من ذي قبل وكأنها استمدت شجاعتها من والديها .

- أنا لسه مش عارف أزاي ده حصل التقارير صح جدااا
- ياخالد باشا أكيد حضرتك اللي جهزته، وهو مين غيرك يقدر يحضرهم.

تأمل خالد كأسه وهو يتمتم بكلمات تكاد لا تسمع

- أخرتها إيه ياخالد هترجع لقديمه تاني؟؟؟

غادر أحمد تاركا خالد مستغرقًا في بعض الأعمال ومتابعة حركة البورصة.

في حين كانت نجوان في طريقها لمنزل والديها وكانت منشغلة طوال الطريق برسائل الهاتف حتى إنها لم تنتبه لكلمات محروس..

- وصلنا ياهانم..... نجوان هانم وصلنا.
- ااه شكرا يامحروس...خليك هنا في العربية وأنا لو احتجتك هتصل بيك.

نزلت نجوان من السيارة وتوجهت لبوابه حديد يعلوها الصدأ والنباتات الملتفة، فتحت البوابة بصعوبة والتي ظهر خلفها مبنى يتكون من طابقين وحديقة صغيرة مملوءة بالنباتات صعدت بعض درجات السلم ووقفت طويلا أمام باب من خشب الأبانوس في الطابق الأول.

فتحته وهي تقرأ الفاتحة على روح والديها، تصاعد الغبار مع فتحها للباب فأضاءت الأضواء قبل أن تتوجه للنوافذ؛ لتفتحها فسرعان ما غمر ضوء الشمس المكان وتجدد الهواء وتجددت معه الذكريات. فحين مر الهواء بخصلات شعرها رأت والدتها وهي تقبِّلها كانت تقف بنفس المكان كانت ترجوها أن تفكر مليًا في كلام والدها ،وعلى غير إرادة منها احتضنت نفسها وهي تقول:

- اااااااه ياماما وحشتيني ياريتك هنا دلوقتي كنت اترميت بحضنك وكنتِ هتسامحيني.

دخل محروس على غفلة منها

- السلام عليكم ياهانم... لقيت حضرتك غيبتي قلقت عليكِ
- تعالى يامحروس ساعدني نزل صور الحاج والحاجة وعايزاك تجيب صناديق هنجمع فيها الكتب.

- حاضر ياهانم. ثواني هنزل وأجيبهم.

توجهت نجوان لمكتبة والدها وجمعت كتب محددة جعلتها داخل حقيبتها في حين جهزت ماتبقى من الكتب؛ ليضعها محروس بالصناديق.

لم يمضِ أكثر من ساعة ونصف وكانت نجوان تغلق شقة والديها والبوابة، ثم انطلق بها محروس عائدًا للمنزل.

- مساء الخير ياهانم..
- مساء النور ياهند. البيه فين؟
- في المكتب منتظر حضرتك.
- طيب حضروا الغدا وبعدها نضفوا الكتب كويس ونظموها في المكتبة.

دخلت نجوان على خالد المكتب لتجده منشغل بكتابة بعض التقارير

- حبيبي.... أتأخرت عليك.
- لا أبدا. أنا الشغل أخدني.... نجوان
- نعم ياخالد
- هو أنا شربت كتير أمبارح؟

- معرفش.. أنت شايف إيه؟
- خلاص مافيش حاجة.
- جيبتي اللي انتِ عايزاه من شقتكم.
- اه جيبت الكتب وصور بابا وماما.
- كتب!! كتب باريس كلها مش كفاية
- الكتب ياخالد ثروة للي أتربى بالطريقة بتاعتي...خليك في البورصة.

دخلت هند لتقطع بكلامها تلك المشادة البسيطة..

- الغدا جاهز ياهانم.

تناولا الوجبة في صمت ومرَّ الوقت بعدها ببطء انشغل كلا منهما في عالمه الخاص، ثم قررت نجوان أن تنهي ذلك الصمت فأدارت بعض الموسيقى وتوجهت لخالد لتمسك بيده؛ ليشاركها الرقص فضمها له بنعومة وبدأ يتمايلان مع أنغام الموسيقى الحالمة مما جعل نجوان تعود لأول ليلة لهما في باريس مدينة النور في شقتهما المتواضعة التي أوجدها لهما صديق خالد زين العابدين وهو شاب مغربي مقيم بفرنسا وهو صديق خالد بالمراسلة.

شقة جميلة صغيرة ذات طلة رائعة، ما إن دخلتها نجوان حتى تخيلت حياتها القادمة كلها سعادة وهناء مع حبيب العمر الذي ضمها يومها لأول مرة لصدره كزوجة وحبيبة...

- نجوان... سرحانه في إيه؟؟
- في البداية ياخالد.. في شقة باريس فاكرها؟!
- حبيبتي.. انسي باريس وخالد اللي كان في باريس انسيه..
- بحاول.. وبتمنى تكون صادق.

انسحبت من بين ذراعيه في هدوء تاركه غرفة المكتب متوجهة لغرفة نومها، وأوصدت الباب خلفها ودفنت وجهها بالوسادة وبدأت بالبكاء والصراخ المكتوم

كان صباح اليوم التالي يحمل الكثير لخالد كرجل أعمال في مصر، فلقد استيقظ مبكرًا وتناول إفطاره وحده سريعًا وغادر متوجها إلى مجموعته، في حين استغرقت نجوان في نومها والتي انتهت لضوء النهار عند سماعها لآذان الظهر. بينما كان خالد في ذلك الوقت ينهي اجتماعه مع المستشارين.

غادر غرفة الاجتماعات متوجها لمكتبه وبرفقته أحمد.

- النتيجة اللي وصلنا ليها ياخالد بيه النهاردة تعتبر ممتازة، وقرارات حضرتك في محلها.
- أنا درست السوق كويس جدا يا أحمد وعارف هنتعامل أزاي مع اللي بيديروا البلد، وأوعى تنسى أنا والدي كان تاجر شاطر وأتعلمت منه كتيررر وفهمت اللعب مع السياسة يكون إزاي .

رن جرس هاتف خالد فغادر أحمد المكتب؛ ليتيح له الحرية في الكلام. فأمسك خالد هاتفه ليجيب على اتصال نجوان.

- صباح الفل ياحياتي. معقول كل ده نوم.

أنا تقريبا خلصت .تحبي نتغدى فين؟

مفاجأة.....! طيب عرفيني إيه هي.

- هتعرف ياخالد لما نتقابل سلام دلوقتي علشان أجهز وأعدي عليك.

ارتدت نجوان ملابسها وغادرت المنزل بصحبة محروس، وانضمت لخالد بعد أقل من ساعة.

- مساء الخير يا حبيبي. تتفضل تقوم معايا علشان تعرف كنت سهرانة ليه ونمت متأخر.
- أتفضل جداااا. أنتِ عرفاني بحب الفضول.

أمسك خالد بيدها وهو يضحك وغادرا سويا الشركة.

فركبا مع محروس الذي كان يعرف وجهته التالية مسبقًا والذي توقف بعد مرور ساعتين أمام جامعه القاهرة.

- هي دي المفاجأة. إيه رأيك؟؟
- مش فاهم.. وضحي يانجوان.
- هقدم تاني في الجامعه وأكمل دراسات عليا وأحقق حلمي.

ابتسم خالد دون حماس أو صدق وأمر محروس بالتوجه لأحد المطاعم المعروفة بوسط البلد.

وهناك لم تستطيع نجوان السكوت أكثر من ذلك، وقررت مواجهة خالد بما تشعر.

- ممكن أعرف أنت مش متحمس ليه لرجوعي للكلية؟

- إيه اللي فكرك بالموضوع ده؟، وكمان أنتِ عارفة إني معتمد عليكِ معايا في الشركة في التعامل بينا وبين فرع فرنسا.
- أولًا: أنا عمري مانسيت وخصوصًا إنه كان وعدك ليا أكمل دراسة في فرنسا لكن للأسف وعدك ده عمره ما اتحقق هناك. ثانيا.. أنا طلبت منك تبعدني عن شغلك نهائيا وده كان شرطي بعد الحادثة.
- يانجوان.. دي فلوسنا ولازم تكوني معايا في كل خطوة وتحمي ثروة ولادنا.

عند نطقه للكلمات الأخيرة شعرت نجوان بتوتر شديد فنهضت ممسكة حقيبتها وتوجهت لحمام السيدات، وهناك أخرجت بعض الحبوب وتناولتها وأمسكت الهاتف وأرسلت رسالة منه ثم أصلحت زينتها وعادت لمقعدها أكثر هدوءً

- طيب خلاص هوافق على الكلية لكن توعديني تتابعي معايا الشغل. موافقة.
- موافقة ياخالد وأوعدك الدراسة مش هتعطلني أبدًا.

عاد الزوجين للمنزل وحالة من الانسجام بينهما صعدت نجوان لتغيير ملابسها، لتمارس بعض الرياضة بغرفة الأجهزة الرياضية في حين دخل خالد لغرفة المكتب لينفرد بكأسه؛ لينضم لعالمه المفضل، ولكن عالمه هذه المرة كان ممزوجا بنكهة الكوابيس.

رأى يديه مُدْرَجة بالدماء وجسد نجوان ملقى على الأرض دون حراك وجسدها ينزف وهو يقف مصدومًا في وسط شقتهما بباريس، لم ينقذه من كوابيسه إلا صوت هند التي قرأت الفزع بعيون خالد حين أدرك أنه يراها مما جعلها تتلعثم في الكلام.

- حضرتك الهانم بتقول تحب تتعشى معاها ولا إيه؟
- اه ياهند شوية وهكون مع الهانم.. روحي انتي دلوقتي.

عندما غادرت هند الغرفة تأمل خالد يديه مليًّا، وكأنه يتأكد من اختفاء الدماء التي كانت تبدو حقيقية منذ لحظات.

التزم خالد الصمت أثناء تناوله العشاء ولكنه حاول بعدها التودد لنجوان، والتي بادلته الحب وحاولت جاهدة أن تزيل التوتر الذي كان يشوب علاقتهما،

وفي النهاية قطع الصمت.

- نجوان... انتِ سامحتيني على اللي فات؟؟

صدمت الكلمات نجوان مما جعل الملعقة تنزلق من يدها، ولكنها تماسكت ونظرت لعينيه وهي تجيبه.

- خالد إحنا أتفقنا مصر بالنسبة لنا بداية جديدة وأي حاجة تانية الزمن كفيل بيها.

أمسك خالد يدها بحب وقبَّل جبينها وهو يشعر براحة وامتنان ونهض؛ ليملأ كأسه في حين عادت هي لتتأمل طبقها المصنوع من الفضة لترى وجهها مشوه من كثرة الأكاذيب التي أتقنتها، نهضت من مقعدها وعانقت خالد من ظهره وهي تهمس في أذنه بدلال:

- عايزة أكون أم.

التف خالد لها وقبَّلها معبرًا عن موافقته وعانقها طويلًا.

مضى الزوجان ليلتهما في سعادة، واستيقظ خالد كالمعتاد ليتوجه للشركة، ولكنه دهشه وجود أحمد بانتظاره في الاستقبال.

- صباح الخير يا أحمد.. بتعمل إيه هنا؟!
- أسف يافندم بس كان لازم اراجع حضرتك في موقفك من بيع الأسهم.
- أسهم إيه وبيع إيه مش فاهم.
- حضرتك امبارح طلبت مني في الإميل بيع أسهم شركة السياحة في البورصة وأنا بعد إذنك شايف إن دي خسارة كبيرة.
- أنا!!!.... استحالة أعمل كده دي خسارة فعلًا.
- يافندم الإميل أهو وحضرتك اللي بعته بدليل حضرتك كاتب عملت إيه في موضوع عمارة والد الهانم وحضرتك مأكد لي إنها ماتعرفش إنك بتدور لها على مشتري.
- أنا مش فاهم حاجة يا أحمد أكون بعته ونسيت... طيب إزاي أخد قرار زي ده وهي خسارة كبيرة.
- هو حضرتك تعبان يافندم... تحب تاخد راحة يومين ولا حاجة؟

انضمت لهم نجوان فقد كانت تَعْدو بالحديقة، وطلبت القهوة للجميع عندما رأت أحمد بالداخل.

- صباح الخير عليكم. أنا طلبت لنا قهوة.

صاح خالد بعصبية: مش عايز حاجة، وغادر المكان ودخل مكتبه.

- خير يا أحمد ماله خالد؟ هو فيه أخبار وحشه من الشغل؟
- لأ ياهانم. بس هو خالد بيه بيعاني من النسيان أو حاجة؟
- لأ طبعا.. ليه بتقول كده؟
- أفضل حضرتك تعرفي منه بنفسك. أستأذن أنا.

غادر أحمد تاركًا نجوان في حيرة من أمرها، حاولت التحدث مع خالد، ولكنه رفض دخولها عليه.

صعدت نجوان لتستحم وتبدل ملابسها، وبعد ذلك نزلت للتحدث مع خالد ولكن هند أخبرتها إنه غادر المنزل.

مر الوقت ببطء ونجوان تطالع كتاب عن النقد المسرحي مما جعلها تنام وهي بمكانها على الكرسي الهزاز.

- أنا ماسافرتش معاك ياخالد إلا لما وعدتني إنك هتساعدني أحقق حلم بابا وحلمي وأكمل دراستي.

- إحنا في غربة يانجوان وأنا محتاج مساعدتك معايا أنت بلباقتك ولغتك هتقدري تكبري معايا مشروعنا الصغير ده، وكام سنة مع فلوس بابا هنقدر نعمل حاجة
- لكن ياخالد شريكك العربي ده مش محترم وأكتر من مرة أقولك بيعاكسني.
- معلش أنا معاكِ هنتحمله بسخافته وشوية وهلغي الشراكة معاه.

استيقظت نجوان على صوت لبنى وهي تحاول إيقاظها.

- مدام نجوان...خالد بيه وصل وطلع على الأوضة فوق.
- طيب يالبنى شكرًا .أنا هطلع للبيه.

صعدت نجوان للغرفة لتجد خالد في حالة ثمالة واضحة، وما إن اقتربت منه لتحاول مساعدته على خلع ملابسه حتى بدأ في الشجار معها وهو يمسك بملابسها.

- مش هرجع المصحة تاني انتي فاهمة أنا كويس وكويس جدااا كمان.

انهار خالد وهو يصرخ بكلماته بوجه نجوان وسقط بجوار الفراش في حالة إغماء. هاتفت نجوان الطبيب وساعدتها لبني وهند في إعادة خالد لفراشه وبعد عدة ساعات عاد خالد لوعيه وكان هادئ الطباع.

- إيه اللي حصل؟!
- المعتاد ياخالد زودت الشرب وزادت عصبيتك والنتيجة أنت عارفها كويس.

أغمض خالد عيونه في حالة من الأسف على نفسه وخجلًا من نجوان.

- خالد ياريت ماتهربش من الحقيقة.. أنت الشرب بيهدلك.

لو سمحت أتحكم في نفسك شوية.

خرجت نجوان من الغرفة، وهي في حالة غضب ولم تنم بذات الغرفة، في الصباح حاول خالد مرارًا الاعتذار لها، قَّبلت أسفه بعد أن وعدها بتخفيف الخمر قدر المستطاع، خرج خالد وشغلت نجوان نفسها بمراسلة بعض الأصدقاء بفرنسا ومنهم ألبير (نجوان... معقول أخيرًا طمنتيني عليكِ، أرسلي رقمك وكل وسيلة أقدر أوصل بيها ليكِ واحكي لي كل أخبارك.

- كتبت لك رسالة طويلة جدااا هتلاقي فيها كل حاجة..

أنا بخير وكل شيئ تمام، مفتقده كلامي معاك وجولاتنا في المتاحف وحاجات كتير..

- هحاول أزور مصر وأكيد هنعوض كل ده... المهم كوني بخير ولو شعرتي بأي حاجة خدي الدوا...

أنهت نجوان حديثها وعادت لمطالعة بعض الكتب ولكنها شردت بعيداً: في سنين الغربة التي جمعتها بغرباء صاروا لها أقرب مما تتصور وفرقتها عن أحب الناس لها.

- خالد بيه... صباح الخير يافندم
- صباح الخير يا أحمد... مالك مستغرب ليه.
- أبدااا مافيش حاجة يافندم..
- طيب راجع معايا شغل النهاردة وعايزك تنظم لي حفلة كبيرة جدااا هعزم فيها كبار رجال الدولة لازم الكل يعرفني.
- حاضر يافندم. بس بعد أذن حضرتك ده هيكون شغل مدام رانيا مسئولة العلاقات العامة ثواني اطلب منها تنضم لينا.

بعد قليل حضرت رانيا سيدة في أواخر العشرين من عمرها مطلقة جميلة المظهر ممشوقة القوام تتسم ملامحها بالذكاء.

- صباح الخير يافندم تحت أمر حضرتك.

أشار لها خالد لتجلس، وبدأ في عرض الأمر عليها، ووجد عندها الكثير من الأفكار الممتازة وتم الاتفاق على تنظيم حفل بنهاية الأسبوع بحديقة القصر وغادرت رانيا؛ لتباشر عملية التنظيم للحفل منذ اللحظة الأولى. حاول خالد تجنب الخمر معظم اليوم وهاتف نجوان ليدعوها للعشاء بالخارج، فتلقت الدعوة بسعادة بالغة وتأنقت كثيرًا فبدت جذابة جدًا عندما رفعت شعرها، ولبست

فستان من الحرير الأزرق الذي بدا عليها بتموجاته كموج بحر يلتف بجسدها الممشوق.

- إيه الجمال ده يانجوان.

ابتسمت لكلماته وصحبها لداخل السيارة وانطلق صوب الفندق الذي سبق وحجز فيه.

وصـــلا الـــزوجين وكلاهمـــا يشـــعر بتجـــدد الحيـــاة والحـــب بينهمـــا طلبا الطعام ولم يقاوم خالد الشرب أكثر من ذلك طلب زجاجة فودكا. لم تحاول نجوان التذمر.

صحبها خالد للرقص وهو يفخر بجمالها بين الحاضرين وعادا للمائدة والسعادة تغمرهما كما الماضي.

- أوعدك يانجوان حياتنا كلها هتكون سعادة وحب وولاد.
- وأنا بصدقك ياحبيبي وعارفه إنك هتوفي بوعدك.
- عايزك تحضري نفسك لحفلة كبيرة في نهاية الأسبوع لازم نتعرف على رجال الأعمال هنا ونقرب منهم.
- خالد خليني بعيد الحفلة وبس.
- حبيبتي انتِ شريكتي وكل الملايين دي انتي السبب فيها.
- وعلشـان كـده ياخالـد بقولـك خليني بعيـد كمـل أنـت الملايـين لوحدك.

فهـــم خالـــد مضـــمون الرســـالة التـــي كانـــت تحملهـــا عيونهـــا لـــه، وحاول تجاهل الموقف بشرب المزيد.

في حين شعرت نجوان بغُصَّة وهي تتناول وجبتها لمعرفتها الجيدة بخالد، وبأنه سيقحمها في النهاية لمشاركته أعماله.

في رحلة العودة تولت نجوان القيادة، فحالة خالد كانت لاتسمح بالقيادة لم يكن بلغ حد الثمالة ولكنه لم يعد يسمح لنفسه بالقيادة وهو تحت تأثير الخمر خاصة بعد الحادث.

صفَّت نجوان السيارة وصحبته للغرفة بعد أن فتحت لها لبنى الباب، وما إن أبدلت ملابسها حتى استسلمت للنوم.

جاء الصباح حاملاً لنجوان الكثير من الألم، فقد استيقظت على صوت خالد وهو يصرخ في لبنى وهند وصوت تحطيم لزجاج.

ارتدت سريعا سترتها ونزلت مسرعة على السلالم لتجده ثائرًا، وفهمت من كلماته أنه يبحث عن زجاجات الخمر المعتق التي كان يحتفظ بها في مكتبه.

- خالد.. إهدى شوية، اتفضلي ياهند انتي ولبنى.
- انتي اللي رميتيها؟؟؟
- لأ. لأن كلهم عندك هنا أنت اللي خبيتهم بنفسك هنا.

- هنا فين؟ انتي عايزة تجنني.

فتحت نجوان باب من الخشب معلق عليه لوحه زيتيه ليجد خالد زجاجات الخمر وقد اصطفت بعناية في أرفف بترتيب حسب تاريخ الإنتاج... كاد يجن وهو ينظر لشكل الزجاجات.

- أنا أنا مش فاكر إني رتبتهم هنامش فاكر
- حبيبي أنت اللي رتبتهم بنفسك ويومها قولت إنك غلطت إنك ماجهزتش قبو بالقصر.
- مش فاكر حاجة يا نجوان فاهمة ولا لأ مش فاكر.

خرج خالد من القصر في حالة غضب واضحة وانطلق بسيارته.

صعدت نجوان لغرفتها وغيرت ملابسها وأرسلت بعض الرسائل الإلكترونية، ثم توجهت لخارج القصر في طريقها للمجموعة لتتابع العمل مع فرع باريس.

- صباح الخير ياهانم خالد بيه لسه ماوصلش.
- صباح الخير يا أستاذ أحمد..معلش شوية ويوصل.

هات ورق شركتنا بباريس علشان أشوف الأمور وصلت لإيه في الصفقة الأخيرة.

أمضت نجوان وقتها في العمل وامضاء الأوراق ومرت الساعات ولم يظهر خالد فهمَّت بالإنصراف؛ أملا في أن تجده قد عاد للمنزل، وفي طريقها للخروج وجدته يدخل الشركة بصحبة سيدة وهو يضع يده على ظهرها. تسمر خالد مكانه حين رأى نجوان فانسحبت من كانت معه بصمت.

- انتي هنا؟!
- اه كنت بتابع الشغل ،وأنت؟
- كنت في كافيه قريب وقابلت بالصدفة رانيا مسئولة العلاقات العامة وكانت بتعرفني على ترتيبات الحفلة.

ارتدت نجوان نظارتها الشمسية وغادرت الشركة بدون تعليق على كلمات خالد واختفت داخل السيارة التي قادها محروس فور صعودها. مرَّ الوقت ونجوان بشقة والديها، وكان محروس قد أحضر لها لبني وبدأت الأخيرة في تنظيف المنزل، في حين وقفت نجوان بالنافذة المطلة على الشارع الضيق الذي يفصل بينها وبين منزل عائلة خالد، وتذكرت تلك الأيام التي كانت تراه من خلال تلك النافذة وكيف كان يرفع صوت

التسجيل ليسمعها أغاني عبد الحليم تنهدت بقوة وهي تستعيد تلك الذكريات.

رنَّ الهاتف مرارًا ولكنها تعمدت تجاهل المكالمات فقد كانت جميعها من خالد وبعد أن انتهت لبنى من التنظيف أغلقت نجوان المنزل، وعادت للقصر لتجد خالد في انتظارها لم تنضم له للعشاء وهو لم يهتم ولم يسألها أين كانت.

صعدت لغرفتها وأبدلت ملابسها ونزلت للحديقة وجلست بجوار ذلك التمثال الذي

أثار إعجابها من قبل، وهناك اتصلت بألبير وحادثته بالفرنسية لمدة ساعة ونصف وحين أغلقت الهاتف فوجئت بخالد يقف على مقربة منها، وأمسك بذراعها بقوة هامسًا في أذنها:

- أنا خالد يانجوان صايع وتربية شوارع فاهمة ولا لأ؟

نزعت ذراعها منه وتركته مسرعة وصعدت لأعلى ونامت في غرفة أخرى وأغلقت عليها الغرفة جيدا، وهي تسمعه وهو يكيل لها الشتائم بالفرنسية.

جاء الصباح ثقيلا فلم تنم نجوان جيدا في تلك الليلة، وقضى خالد ليلته يفكر في السنوات التي مضت من عمرهما سويا سمعت نجوان طرقًا على الباب.

- مين..؟
- أنا لبنى يانجوان هانم.

فتحت نجوان الباب وألقت جسدها على الكرسي بتعب شديد لم تقوَ قدميها على حملها.

- حضرتك بخير ياهانم. تحبي أجيب دكتور.
- أنا بخير محتاجة أنام بس.. البيه فين؟
- خرج حضرتك من بدري وقال أبلغ حضرتك تجهزي للحفلة النهارده.
- الحفلة!!!! ياربي أنا نسيت ..طيب يالبنى اعملي قهوة وأنا نازلة حالًا

نزلت نجوان وهي ترى العديد من الوجوه الغريبة منتشرة بالقصر.

- هند.. مين دول إيه الناس دي؟

- دول السرفيز اللي هيقدموا في حفلة النهارده وكمان فيه شركة مأكولات بتنزل الأكل بالمطبخ..
- خلاص خلاص مش عايزة أعرف تفاصيل أنا هروح للبيوتي سنتر وهرجع على ميعاد الحفلة.

خرجت نجوان وحاولت تجنب رانيا مديرة العلاقات العامة كان مزاجها العام لايسمح بأي نفاق.

ركبت السيارة وقادتها بنفسها ولم تنتظر محروس، وخرجت من القصر مسرعة مضى الوقت وأمسى الليل وبدأت الأنوار تملأ المكان والألعاب النارية أعلنت عن بداية الحفل الكبير وكان كل مافي القصر يُظهر رقي التحضير، والتكلفة الباهظة لمظاهر الاحتفال لتليق بالحاضرين. ظهر خالد بأجمل صورة في أبهى حلة وأخفى قلقه من غياب نجوان قدْر الإمكان، وبدأ الحضور في التوافد على القصر، وكان في استقبالهم فتيات يصطحبن كل ضيف للمائدة المخصصة له وتقديم المشروبات في أنية من الكريستال وأنغام الفرقة الموسيقية تعزف ألحانًا عالمية.

- هند.. كلمتي نجوان هانم على التليفون

- أيــوة ياخالــد بيــه أكتـر مــن عشــر مــرات تليفونهــا مقفــول كاد أن ينكسـر الكأس بيده من شـدة غيظه ولكنه تمالك نفسه حين رأى رانيا تقترب منه.
- خالــد بيــه لازم حضــرتك ترحــب بالضــيوف كــده مــاينفعش قطع حديثهما صوت نجوان الذي تردد في المكان بفعل تأثير مكبر الصوت.

بدت نجوان بجمال لامثيل له شعرها المرفوع وأكتافها الرقيقة الناعمة المكشوفة وثوبها بلونه الأحمر الآخاذ.

بدت رائعه تحت الأضواء قوية جذابة، وصوتها ،ونطقها للكلمات بعدة لغات سحر الجميع.

ثم انضمت لخالد وصحبته للترحيب بالجميع تاركة خلفها رانيا تشعر بالغيظ والدهشة لقوة تلك المرأة.

- انتي جميلة جداا النهاردة.. وصلتي أمتى؟
- مش وقته لازم نرحب بالناس تعالى أعرفك عليهم
- إيه ده انتي تعرفي الكل ولا إيه؟

- طبعا يا أستاذ عملت دراسة لكل الشخصيات الكبيرة علشان نعرف هنتعامل معاهم إزاي..
- رائع ياحبيبتي
- تلميذتك يا أستاذي.

بدأ التعارف على الجميع وسط أجواء الحفل وتم عقد الصفقات وكان خالد فخورًا بنجوان التي تفاعلت مع الجميع وجذبتهم بحديثها ولباقتها.

- خالد.. أحمد عايزك علشان تتم أتفاقك مع الشركة الألمانية هما في انتظارك في المكتب.
- نجوان... تعالي هنا فهميني اتفاق إيه؟؟
- لأ مش معقول ياخالد أنت عامل الحفلة مخصوص علشان تبهرهم ودلوقتي تقول اتفاق إيه؟؟؟؟

غادر خالد الحفل متوجها للمكتب وبداخله غضب واضطراب.

- أحمد....
- أيوة ياخالد بيه...
- هنتكلم بعدين يا أحمد .عرفني دلوقتي الاتفاق إيه؟

تمم خالد الاتفاق وغادر الجميع من المكتب بعد تمام الاتفاق، وظل خالد بالداخل لايتوقف عن الشرب حتى لحقت به رانيا وأغلقت باب المكتب خلفها.

شعرت نجوان بغياب خالد عن الحفل، ولاحظت سؤال الجميع عنه

- أحمد. خالد فين؟ الناس بتسأل عليه والحفلة قربت تنتهي.
- هو لسه في المكتب، بس واضح إنه متضايق من حاجة ده غير إنه كان ناسي الاتفاق.
- طيب يا أحمد هشوف الموضوع ده، أنا هروح أشوفه ظبط أنت الناس وراعيهم لحد ما ارجع.

توجهت نجوان لغرفة المكتب، وفتحت الباب لتجد رانيا بأحضان خالد...

في لحظة من الزمن وقفت دون حراك في صمت تام تنبه كلا منهما لوجودها فخرجت رانيا مسرعة من غرفة المكتب متفادية نظرات نجوان لها، في حين وقف خالد بكل ثبات وأشعل سيجارته قبل أن يتكلم.

- مش المفروض تستأذني قبل ماتفتحي الباب؟

- عندك حق.. لكن بفضلك نسيت كل التربية اللي اتربيتها على إيد الدكتور فضل الله.

قالت جملتها وصكت الباب خلفها بقوة، ولكن بدأت خطواتها تتثاقل كلما خطت خطوة أوقفتها الذكريات دهرًا، ولمعت عيناها بالدموع وهي تتذكر منزلهما بفرنسا، في يوم عادت من عملها مبكرًا على غير عادتها لتجده برفقة جارتهما، وكيف كان رد فعلها حين بدأت في الصراخ وضرب خالد ورفيقته في تلك الليلة، ثم عادت لرشدها سريعا على صوت لبنى

- حضرتك بخير ياهانم.. تحبي ترتاحي ؟
- أنا بخير يا لبنى اطمني.

ربتت على يد لبنى وهي تنطق كلماتها لتبدو متماسكة أمام الجميع، وعادت للحفل بكامل قوتها، ولكن داخلها نشب صراع بين عقلها وقلبها كيف بعد كل تلك السنوات ومامرت به مع خالد مازالت تشعر بالغيرة، واندهشت أكثر من رد فعلها وثباتها وهي من كانت في الماضي تشتعل بنار الغيرة ربما من كثرة تعدد علاقاته أصبح رد فعلها أكثر هدوء. غادرت رانيا الحفل فور خروجها من المكتب، مضى الحفل في تلك الليلة بسلام.

ولكن مابين خالد ونجوان لم يمر بسلام فلقد أصر خالد على إكمال المناقشة مع نجوان. أمسك بذراعها وهي تحاول الصعود للسلم.

- رايحة على فين؟ عجبك الإحراج اللي عملتيه لرانيا!
- ده اللي همك ياخالد؟ ده وعدك ليا؟ إيه الجبروت اللي أنت فيه ده.

حاولت أن تغادر المكان بعد أن نطقت كلماتها، ولكنه أمسك بذراعها بقوة وبدأ في الصراخ في وجهها.

- انتي مجنونه دايما تفسري الأمور غلط مافيش حاجة بيني وبينها.
- مجنونه وفاهمه غلط! واحدة في حضنك وتقولي فاهمة غلط، طيب فهمني إيه الصح.
- انتِ مش لازم تفهمي انتِ تعيشي ساكته وبس فاهمة.
- سكت كتير ياخالد واتكلمت أكتر قربت خطوات وأنت بتبعد... فهمني إحنا مكملين مع بعض ليه؟
- انتي مراتي يانجوان فاهمة ماتقارنيش نفسك بيهم وهنكمل مع بعض لأن ده قراري فاهمة.

أفلت ذراعها ونظراته تستشيط غضبا، وهرولت هي مسرعة لتصعد لغرفتها ودقات قلبها تتزايد بسرعة من الخوف من غضب خالد، فقد كانت تعرف رد فعل خالد وهو غاضب وفي حالة سكر، فقد ذاقت منه الأمرين من قبل وتضرر جسدها كثيرًا.

نامت ليلتها وسط كوابيس مُرَوِعة أعادت عليها ذكريات مؤلمة من الماضي. استيقظت نجوان على صوت هند..

- نجوان هانم حضرتك بخير. صباح الخير الأول.
- بخير ياهند ماتقلقيش.. هو فين خرج ولا لسه.
- خالد بيه خرج من بدري ياهانم. لكن تقريبًا كان فيه مشكلة كان صوته عالي جدا وهو بيتكلم في التليفون ورفض إنه يفطر.
- ماتعرفيش فيه إيه؟
- لأ حضرتك ماسمعتش حاجة.
- ولا يهمك.اعملي لي قهوة وهاتي التليفون.

طلبت نجوان رقم أحمد لتعرف منه سبب غضب خالد.

- الوو.. صباح الخير يا أحمد.. إيه اللي حصل؟ خالد خرج الصبح وعرفت إنه كان عصبي.

- مصيبة ياهانم... رانيا مسئولة العلاقات العامة لقوها مقتولة في شقتها الصبح.
- إيه اللي بتقوله ده. ده بجد... طيب ازاي مين عمل كده؟؟!
- مش عارف والله ياهانم، التحقيق شغال وبيحققوا مع كل اللي في الشركة.
- خالد خالد إيه دخله بكل ده؟
- البوليس بيحقق مع كل شخص تعامل معاها وخالد بيه من ضمن الناس وكمان هو صاحب العمل اللي هي بتشتغل فيه.
- أقفل يا أحمد أنا هلبس وأكون عندكم في أقرب وقت.

أرتدت نجوان ملابسها بسرعه وخرجت بدون أن تشرب قهوتها وطلبت من محروس أن يقود بكل سرعة للشركة.

وصلت نجوان للشركة لتجد المكان يعج بالشرطة والمحققين وبعض الموظفات شرعْن بالبكاء دخلت بدون استئذان لمكتب خالد لتجده شبه منهار.

- خالد امسك نفسك أوعى تكون شربت.
- شربت كاس أو اتنين مش فاكر.

- طيـب أهـدى ومـش عـايزاك تقـول حاجـة أي حاجـة. فـاهم أمسكت بيده وهي تنطق كلماتها وتنظر لعيونه بشكل مطمئن أنا هشهد إنك كنت نايم جنبي طول الليل.
- انتِ بتقولي إيه يانجوان ؟؟؟

نظر خالد لعيون نجوان وهو لايصدق مايسمع..

- انتي قصدك إيه.. أنا أنا مقتلتهاش وهقتلها ليه ؟!
- مـش وقتـه ياخالـد اسـكت دلـوقتي لازم تكـون شـهادتنا واحـدة وبعدها نتكلم.

قطع حديثهما دخول المحقق للمكتب، رجل في الأربعين من عمره مُحَنَّك ذو نظرات حادة تتهمك من قبل أن تجيب على الأسئلة الموجهة لك.

- البقاء لله أستاذ خالد.. مدام
- البقية في حياة حضرتك اتفضل ارتاح.

جلس المحقق على الكرسي المقابل للمكتب وجلست نجوان خلف المكتب في حين فضل خالد البقاء واقفا لشعوره بالتوتر بسبب كلام نجوان

- عرفت من الموظفين إن حضرتك كان عندك حفلة إمبارح والمرحومة هي اللي كانت منظماها.. مش غريب إنها تمشي من الحفلة قبل ماتنتهي وهي المسئولة عنها؟

أجابت نجوان بثبات وهدوء

- رانيا ست مجتهدة جدًا في شغلهاونظمت الحفلة كويس جدا فطبيعي إنها تمشي وتسيب الحفلة وهي مرتاحة إن كل حاجة تمام خاصة إن الغرض اللي بسببه عملنا الحفلة تم. وهو دمج الشراكة مع الشركة الألمانية.

هنا تدخل خالد في الحديث بعد أن شعر بصدق قصة نجوان وقوتها.

- هي طلبت مني تمشي دخلت لي المكتب وقالت إنها كده خلصت شغلها على أكمل وجه ومحتاجة تمشي، فسمحت لها.
- في أي مشاكل بينها وبين أي حد في المجموعه أو خارجها؟ أجاب خالد.
- أنا مختار اللي بيشتغلوا معايا بدقة فاعتقد إن داخل العمل مافيش أي خلاف من النوع ده، لكن بالنسبة لحياتها الشخصية

مانعرفش عنها حاجة غير إنها مطلقة وبس وأنا اللي يهمني شغلها مش أكتر.

قال كلماته الأخيرة وهو ينظر لنجوان ليخفي عيونه عن المحقق حتى لايكتشف كذبه.

- طيب لو أي معلومات حصلت لحضرتك أو للهانم ياريت تعرفوني.

غادر المحقق المكتب دون أن يكشف باقي أوراقه.

دخل أحمد فور خروج المحقق.

- ماسابوش حد إلا لما حققوا معاه كل اللي في الشركة سألوهم، بيقولوا إنها اتقتلت بضربة على راسها بأزازة خمرة.

هنا تجمد خالد في مكانه وشعر بدوار رهيب كاد يطيح به أرضًا.

- خالد.. أنت بخير

أمسكت به نجوان بسرعة قبل أن يسقط على الأرض وهبَّ أحمد لمساعدتها

- يلا بينا على البيت أنت من إمبارح سهران وتعبت النهاردة بسبب الخبر ده .يلا ياحبيبي.

لم يعارضها خالد وغادر معها الشركة في صمت وصلا للمنزل سويًّا فصعد لغرفته بدون أن ينطق بكلمة.

ساعدته على خلع ملابسه وسلم جسده للنوم؛ هروبًا من التفكير الذي بدأ يزحف على عقله كجيش من النمل الذي بدأ بالنبش في ذاكرته.

لم تغادر نجوان الغرفة إلا بعد أن تأكدت من دخوله في نوم عميق، ثم توجهت للمطبخ وأغلقت الباب خلفها.

- صباح الخير يابنات، كله تمام ياحبايبي ابتسمت الفتيات فور دخولها المطبخ وكن قد حضرن لها الإفطار والقهوة.
- تمام ياماما كل حاجة زي مابتحبي.

انقضت ساعات ونجوان مع لبنى وهند وباب المطبخ مغلق عليهم، ثم

خرجت نجوان وتوجهت لغرفة المكتب وبدأت في مطالعة كتاب من كتب والدها، ولكنها عند إحدى سطوره وقفت طويلًا لترى نفسها داخل صفحاته وهي بداخل مستشفى سان جورج ملقاه على الفراش لاحول لها ولا قوة من كثرة المهدئات التي كانت توخز بها عن طريق الحقن، وتذكرت ذلك الممشى المغطى بالزهور الصفراء الصغيرة النابتة بين الحشائش الخضراء وألبير ممسك بيدها يحدثها عن فن (مايكل أنجلوا) وتاريخ متحف اللوفر وقصة لوحة الموناليزا . عادت السطور تظهر شيئًا فشيئًا أمام ناظريها لتعود للواقع الحالي على صوت رنين الهاتف..

- الووو.. أيوه أنا مين معايا؟
- اااه أهلًا وسهلًا.. لا أبدا مانعرفش حاجة كل اللي نعرفه إنها اتقتلت بشقتها غير كده مانعرفش حاجة أكيد طبعا هنعملها تكريم وحفل تأبين جنازتها بكره إن شاء الله وخالد اتولى كل المصاريف وكلف ناس بالإجراءات. شكرًا لحضرتك مع السلامة.
- لكن أنا ماكلفتش حد.

فوجئت نجوان بخالد يقف أمامها وهو ينطق كلماته مما يدل على سماعه للمكالمة.

- حبيبي.. ده فهمي الهويدي اللي بيسأل بنفسه وطبعا أنا عملت كل اللي قلت له إنك عملته لإن ده واجبك اتجاهها وهي اللي كانت شايلة الشركة من قبل مانيجي مصر أنا رتبت كل حاجة وأنا هناك في الشركة.. يعني أنا مش بكدب الفرق الوحيد إن الكل لازم يعرف إنك أنت اللي عملت ده.
- نجوان.. انتِ ليه قولتِ إنك هتشهدي بأني كنت نايم جنبك انتِ شكيتي فيا؟!
- خالد إمبارح أنت شربت كتير وكل اللي أعرفه إنك خرجت فين الساعة كام معرفش.
- أنا خرجت.. أزاي أنا مش فاكر حاجة زي دي.
- أنا ياحبيبي بالليل راجعت نفسي وكنت مش حابه أخسرك وقلت أحاول أصدقك مرة تانيةخرجت من الأوضة وكنت ناوية أنام جنبك في أوضتنا لكن أنت مش نمت هناك ونزلت أشوفك في المكتب كمان لكن كنت خرجت رجعت نمت وأنا مقهورة لأني حسيت إنك عندها بتصالحها.
- لا لا يانجوان بلاش جنان أنا كنت نايم وماخرجتش أساسًا من القصر.

نطق خالد كلماته وهو يمسك رأسه من شدة الصداع وكثرة التفكير

- عارفة إيه المصيبة الحقيقية إن أي حد يفكر زي ما انتي فكرتي كده كل اللي بنيته هيروح، لو حد عرف إني كنت.... معاها ولو مرة واحدة هيربطوني بالجريمة للتشهير.
- أمسك نفسك ياخالد أنا جنبك واستحالة هيكون لك صلة بالجريمة دي، وأهم حاجة نصر على أقوالنا
- حاسس إن ربنا بيعاقبني علشان زمان حملتك مسئولية جريمة أنا اللي عملتها وبسببي دخلتي المصحة.

هنا أغمضت نجوان عيونها وهي تنظر من النافذة للتمثال المتواجد بالحديقة وجاء خالد من ظهرها قبل كتفها ورفع شعرها بيده وقبل عنقها وقال لها هامسا.

- سامحتيني فعلا يانجوان؟؟

شعرت بقشعريرة تسري بجسدها فمازالت تحبه مازال قلبها يحمل له حب بطريقة غامضة ومازال جسدها يضعف أمام لمساته.

توقف الزمن بهما وعادت بين أحضانه لترى نفسها تمشي معه بشوارع باريس والثلج يتساقط وخلعه لمعطفه بالشتاء ليدفئ جسدها به، وهمسهما وقبلاتهما المجنونة بالشوارع وتحت أعمدة الإنارة.

وتذكرت أيضا كيف كان رد فعله عندما أخبرته بحملها الأول.....

نهضت من على الأريكة مسرعة تاركة خالد في حيرة من أمره كيف تبدل حالها بين يديه من عاشقة تسبح في نهر الحب لنافرة من بين يديه.

خرجت من المكتب تصعد السلالم مهرولة، فتحت غرفتها وتوجهت للحمام وفتحت المياه المغطس وظلت واقفة أسفلها؛ حتى تبللت ملابسها وجسدها بالكامل وهي تبكي وتضرب الحائط بيديها.

حضر جَمْع لا بأس به جنازة وعزاء رانيا، وكان خالد ونجوان في الصفوف الأولى؛ لاستقبال المعزين وبرغم تأثر الجميع بالحادث إلا إن الهمس كان منتشر بين الحضور الكل يتملكه الفضول لمعرفة القاتل ولماذا قُتِلَت؟

- لبنى قهوة من فضلك... وأي حاجة للصداع.
- حاضر يانجوان هانم.
- جزاكم الله خير على اللي عملتوه يانجوان هانم.

- العفو ياهانم ده واجبنا وهي البنت خدمتنا كتير وده أقل واجب نقدمه لها.
- كانت كل السيدات تقدر مجهود نجوان؛ لاحتواء علاقة زوجها برانيا والتي انتشر خبرها سريعا بعد مقتلها بسبب ثرثرة الموظفا
- بعد ساعات ومع انتهاء المقرئ أنصرف الجميع من القصر بالتتابع، حاولت نجوان التسلل لغرفة المكتب؛ طلبا للراحة ولكن صوت المحقق استوقفها.
- نجوان هانم.. البقاء لله.
- تقبل الله منك.. شكرًا لحضرتك.
- ماشاء الله أكرمتوها جدا!!
- هي كانت تستحق الله يرحمها.
- ممكن أتكلم مع حضرتك شوية
- اه طبعا اتفضل بالمكتب.

دخلت نجوان المكتب وتبعها المحقق وطلبت من هند تحضير فنجان قهوة له.

- حضرتك كنتِ عارفة بعلاقة أ/خالد بالمرحومة
- علاقة إيه؟ كل اللي بينهم شغل.

- والشغل يخليه يهاديها فودكا!!!
- شوف حضرتك إحنا عيشنا في فرنسا وقت كبير والهدية بالشكل ده عادية جدا والعلاقات بين الرجل والست بيكون فيها تبادل عادي للنوع ده من الهدايا.

هنا دخل خالد المكتب بعد أن استرق السمع قليلا.

- حضرتك هنا ..طيب مافيش حد بلغني ليه كنت رحبت بحضرتك.
- أنا مقدر إنك مشغول بالعزاء فقولت أدردش مع مدام نجوان شوية. وكنت هقعد معاك لوحدنا خالد بيه بصمات حضرتك وجزء من بصمة نجوان هانم كانت على إزازة الفودكا اللي إضربت بيها القتيلة..

حاول خالد الاسترخاء ليجيب على السؤال بثقة لتبدو إجابته صادقة.

- ده طبيعي حضرتك.. شوف هنا ده مخزن بعتق فيه أفضل الأنواع عندي وبهادي منها أصحابي لأنها أنواع فاخرة وطبيعي تلاقي بصماتي أو بصمات نجوان وأنا كنت أهديت المرحومة رانيا واحدة على سبيل الكادو.

- ماشاء الله عليكم أنتم زوجين متفاهمين جدا ده كان نفس رد المدام، لو زوجة تانية تعرف حاجة زي دي كانت قتلت.

نظر لهما المحقق نظرة كلها شك وريبة في روايتهما احتضن خالد نجوان بيده وهو ينظر للمحقق نظرة كلها ثبات وثقة، وارتسمت على شفتي نجوان ابتسامة وقالا:

- إحنا مختلفين شوية عن أي حد ممكن تكون عرفته.
- شكرًا لوقتكم وأسف على الأزعاج.

خرج المحقق من المكتب وظل خالد يَرْقُبه حتى خرج من القصر كله.

- شوفتي قلت لك هيحاولوا يربطوا حد فينا بالجريمة والدافع يا الخيانة يا الغيرة.
- خالد.. لازم تعرف إن مافيش ضدنا أي دليل هو بيعمل شغله وبيشك في الكل. المهم إننا نكون واثقين من براءة بعض ده اللي يهمني.

التفت لها خالد وعيونه تحاول نطق الكلمات بحب ودفء

- نجوان أنا عايز طفل.

- طفل بعد السنين دي كلها! إيه اللي غير تفكيرك.
- إحنا دلوقتي أغنيا جدا وفي مصر يعني الظروف كلها متاحة وأنا عارف إن دي رغبتك طول عمرك.
- أكيد عندي رغبة أكون أم وإلا ماكنت أحمل أربع مرات لكن أنت واثق إنك مش حتقتله زي اللي قبله.

نطقت بكلماتها وهي تنظر لعيونه ولكن نظراتها تلك المرة كانت خالية من الحزن وبريق الدموع كانت نظراتها كلها قوة ..قوة شخص لم يعد يملك مايخسره.

- عارف إني غلطت قبل كده لكن نحاول المرة دي الطفل ده هيقرب بينا هيرجع كل اللي خسرناه. دي رغبتي
- موافقة ياخالد.. خرجت كلماتها بثقل الوجع الذي تذكرته ولكنها أخفت بداخلها تلك الغصة والمرارة و أغمضت عينيها وسمحت له بتقبيلها كبداية جديدة لهما.

أصبح الصباح وتناولا الزوجان الإفطار وكانا يتبادلان الضحكات واللمسات في مشهد رومانسي جميل، ثم غادر خالد متوجهًا للمجموعة

في حين استعدت نجوان للمغادرة لتقابل طبيبها لإجراء فحوصات؛ استعدادًا للحمل.

دخل خالد الشركة وهو يكاد يسمع همس الجميع ونظراتهم التي يخفونها خوفًا أو خجلاً منه حتى اختفى داخل مكتبه.

- صباح الخير يا أحمد.. عملت إيه في تعين مدير العلاقات العامة.
- نفذت رغبة حضرتك وأستاذ عبدالله هو اللي أخد المنصب.
- تمام جدااا.. وإيه باقي الأخبار؟
- لقيت مشتري حضرتك لبيت والد المدام.
- ممتاز. وهو عاين البيت ولا لسه؟
- هو شاف المساحة من الخارج وعجبه المكان جدا لكن حابب يعاينه من الداخل.. إيه رأي حضرتك؟
- لازم أكلم نجوان ولو إني عارف إنها هترفض وأنا مصمم على بيعه حتى لو من وراها هيتباع بالذوق أو بالعافية.

أمضى نهاره منهمكًا في العمل الذي أصبح مثمرًا بشكل ملحوظ بعد الحفل الناجح وحضور كبار رجال الدولة.

دق جرس الهاتف كانت نجوان تطلب حضوره عند الطبيب، ووافق على اللحاق بها.

وصل خالد لعيادة الطبيب وجد نجوان با نتظاره دخلا سويًّا؛ ليتحدث معهما.

- أهلا أ/خالد: أنا حبيت أعرفك إن الحمل ممكن يتأخر بسبب عدد مرات الإجهاض اللي مرت بها نجوان هانم وكمان السن له عامل وحابب حضرتك كمان تعمل لي تحاليل هكتب لك عليها وربنا كريم إن شاء الله.
- شكرًا يادكتور على التوضيح وإن شاء الله أعمل التحاليل اللازمة.

اصطحب خالد نجوان للخارج وهو يمسك يدها بحب وحنان وهي لا تصدق اهتمامه المفاجئ بفكرة الحمل.

تولى هو القيادة وركبت معه نجوان وعاد محروس بالسيارة الأخرى فارغة.

- حبيبتي عايزك تطمني الحمل ده رزق وأكيد هيكون لينا نصيب فيه عايزك تطمني.

كادت نجوان لاتصدق أذنها لنبرة الحنان والتعاطف في صوت خالد.

- أنت رايح فين ده مش طريق البيت!
- لا ده طريق بيتكم القديم ولا نسيتيه ياروحي.
- غريبة وهنروح هناك ليه؟
- لإن فيه مشتري حابب يشتري البيت وكنت عايز أرجع أعاين المساحة من جديد.

هنا فقط عرفت سر نعومة صوته وموافقته لها على فكرة الطبيب.

- خالد وقَّف هنا... قلت لك وقَّف هنا بدل ما أفتح الباب وأعملك مصيبة بدأت بالصراخ بشكل هستيري.

أوقف السيارة بقوة وهو ينعتها بالجنون لكنها كانت فتحت الباب وأوقفت أول سيارة أجرة بالطريق تاركه خالد وحده.

بدأ غضبه يزداد ففتح زجاجة مشروبه وتجرَّع منها جرعات ثم هاتف أحمد.

- الـووو أحمـد البيـع هيـتم من غير علمهـا عرفـه لـو عـايز يشـتري البيـت يكتفي بالمعاينـة من بـره مفهـوم وبيـع لـه بـأي سـعر... أنـا هدبر موضوع البيع هي عاملة لي توكيل أنا هتمم البيع.

عـادت نجـوان للمنزل وهي تشـعر بغبـاء شـديد؛ لأن مشـاعرها عـادت للحظات تصدق خالد بعد كل مامرت به في حياتها، ألقت بحقيبة يدها فور دخولها وأسرعت لبنى تلتقط مابعثر منها على الأرض.

- حصل إيه طيب فهميني.. راجعه ليه كده؟ياهند تعالي..
- إيه ياماما حصل إيه تعالي ساعديني ياهند نطلعها فوق.
- لا مش عـايزة أنـا بخير وبخير جدًا كمان هـاتي لي الـدوا وبس اللي أنا فيه مش جديد هو أنا بس اللي كان جوايا أمل خيبان.

تسـاقطت دموعهـا وأخفـت وجهها بـين يـديها تحـاول سـتر ضـعفها عنهمـا فانسحبت الفتاتان؛ تقديرًا لمشاعر نجوان التي سرقتها الذكريات لذكرى تؤلمها جداً..

- حمل إيه يانجوان انتِ أتجننتي إحنا في غربة وأنا لسه ماحققتش حلمي وانتِ تقولي حامل.

- ياخالـد إحنـا وضـعنا الحمـد لله وكمـان بابـاك بيبعـت فلـوس وموضوع إنك تبقى مليونير ده قدامه سنين . والطفل ده رزق
- رزق إيه وهبل إيه والعملا والشيخ اللي أنا مشاركه لمايعمل حفلة أقوله المدام مش جاية لأنها حامل!
- االه قـول كـده قـول إنك عـايزني أفضـل وسـيلة تغـري بيهـا العمـلا بتوعك الفاكهة اللي بتوعدهم بيها وتزغلل عنيهم.... أنت إيه مش رجل ؟؟!!!!

لـم تشـعر نجـوان بعـدها بجسـدها إلا عنـدما فتحـت عيونهـا لتجـد نفسـها بمستشـفى (مـاري) ومعهـا زيـن العابـدين. صـديق خالـد المغربـي.. هـو وزوجتـه التي أخبرتهـا بأنهـا نزفـت كثيرًا نتيجـة ضـرب خالـد لهـا ممـا أدى لفقدان الجنين.

التنهيـدة التي أعقبـت تلـك الـذاكرة كـادت تحـرق القصـر خاصـة وأنهـا أعقبتها بصرخة مملوءة بوجع كل مامضي.

صـعدت نجـوان لغرفتهـا وأغلقـت عليهـا البـاب، واختفـت فيهـا لسـاعات طويلة شعرت فيها الفتيات بالقلق عليها.

عاد خالد للمنزل بعد أن انتصف الليل لم يتفوه بكلمة وصعد لغرفته، وألقى بجسده في نوم عميق.

أيقظته نجوان وهي تقذفه بالجرائد.

- اصحى وأتفضل لم الفضايح دي ..
- فيه إيه على الصبح هوالجنان أشتغل بدري.
- جنان.... شوف الجرايد وبعد كده نشوف مين المجنون.

فتح الصحف والمجلات ليجد له صور بالبار مع ركلام وصور أخرى له مع رانيا والعنوان المتصدر الصحف... رجل أعمال جديد وشبهات وفضائح

- مين اللي ناشر الخبر ده أنا هخرب بيتهم.
- الصور حقيقية يا أستاذ المصيبة في البوليس والفضيحة وسمعة المجموعة والأسهم اللي في البورصة... أنت بتدفنا بالحيا.

نهض وأرتدى ملابسه سريعًا وهو يستشيط غضبا، وخرج من القصر تاركًا نجوان في حالة غضب تحاول إجراء مكالمات لتعرف مدى تأثر العمل بالأخبار الجديدة.

وصل خالد لإحدى الصحف وطلب مقابلة رئيس التحرير

- ممكـن أعـرف إيـه ده! أنـتم أزاي تنشـروا خبـر زي ده أنـا هرفـع عليكم قضية.
- أولا حضـرتك ماتقـدرش تعمـل حاجـة لإن الصـور حقيقيـة مـش تركيب كمان مش إحنا المجلة أو الصحيفة الوحيدة اللي نشرت الخبر.

خـرج خالـد وهـو أكثر غضـبا لعجـزه عـن إيقـاف تلـك الفضـيحة. تجنب الذهاب للشركة في حين لم يتوقف هاتفه عن الرنين، ثم قرر أخيرًا الرد

- إيـه يـا أحمـد... عـايزني أقـول إيـه وأكـدبهم أزاي الصـور حقيقيـة فعلا.. بتقول إيه نجوان !طيب إزاي؟

ماشي هكون عندكم حالًا.

توجه السائق للمجموعة ليجد نجوان هناك وسط مؤتمر صحفي تعرض فيهـا صـور لهـا ولخالـد في أمـاكن مشـابهة بفرنسـا، وتقـول إنهـم اعتـادوا أسلوب الحياة هذا، وإنها كانت معه في تلك الأماكن لكن مَنْ تعمد التقاط الصور تجاهل وجودها؛ ليخلق منها فضيحة تليق بالصحف الصفراء.

لم يصدق خالد مايسمع وانضم لها وأكد كلامها وانقضى المؤتمر وهما في سعادة بالغة.

- أوعى تفتكر إني عملت ده علشان خاطرك... لا ده علشان شكلي وكمان علشان المجموعة اللي تعبت معاك لحد ماعملناها بالشكل ده نطقت كلماتها وسبقته لغرفة الاجتماعات، وهناك كان مستشاري المجموعة في انتظاره.
- خالد بيه بالنيابة عن مستشارين المجموعةوممثلي ملاك الأسهم شايفين إن حضرتك لازم تسند إدارة المجموعة لمدام نجوان فضيحة تانية زي اللي كانت النهاردة كانت ممكن تضيعنا وتخسر الشركة ملايين في البورصة .القرار لحضرتك لكن ده واجبنا إننا نعرفك موقفنا كان شكله إيه النهاردة. ده غير إن التحقيق في قضية مدام رانيا لسه مفتوح ومافيش حد عارف ممكن يوصل لإيه.

شعر خالد بغباء تهوره وهدمه لماتعب في تأسيسه لسنوات وطلب منهم ترك فرصة له للتشاور مع نجوان خرج الجميع ماعدا هي.

- شايفه إيه يانجوان؟

- أعمل اللي أنت عايزه لكن أنا مش هدير حاجة أنت تعالى على نفسك شوية وخليك محترم هنا مش فرنسا.
- أنا ماضعفتش يانجوان علشان تكلميني كده، والفضيحة دي ممكن تتلم بكام مشروع خيري وتسدي جزء من ديون مصر وتشتري كام وزير هلاقي نفسي محبوب الجماهير وبظهر في الفضائيات ولا كأني المهدي المنتظر إنتِ فاهمة. مش أنا اللي ينكسر.

لكن إدارة المجموعة أنا مش هعند فيها واعتبريها مكافأة مني وهعينك فيها ومش عايز أسمع غير حاضر وبس.

نظرت له نجوان نظرات تعجب من مكابرته وجبروته وفتحت الباب وصكته في عنف وغادرت المجموعة طلب خالد من أحمد الحضور لمكتبه.

- عملت إيه مع المشتري؟
- نعم... هو حضرتك فعلا هتبيع من غير ماتعرف؟
- فيه يا أحمد هو أنت هتخاف على مشاعرها قدي!

- لأ... حضرتك ماقصدتش..على العموم الأوراق كانت جهزت أنا اللي فكرت إن حضرتك ممكن تكون رجعت في كلامك ولا حاجة.
- لأ يا أستاذ هات الأوراق علشان أمضيها وعرف المحامي وتمم الإجراءات والفلوس ضيفها للحساب المشترك اللي في البنك.
- طيب مش تعرف السعر كام الأول هو قدر ٥٠٠ألف
- مش هتفرق لو هبيعه ببلاش المهم يتباع.

قالها خالد وهو يشعر بحقد دفين نحو والد نجوان الذي رفضه مرتين، وطرده هو ووالده من منزلهم وعاد المشهد ليتجسد أمامه.

- أنت تتجرأ وتطلب أيد بنتي ده على أساس إيه طبعا لأ وألف لأ.
- عيب كده يا أستاذ أنا وابني في بيتك.. قال دكتور قال.
- ماهو لإني دكتور في الجامعه استحالة أناسب مهرب زيك غني حرب واحد بميت ذمة.. اتفضلوا أخرجوا من بيتي أنا ماعنديش بنات للجواز.

ظل خالد يسترجع الكلمات والمشهد في رأسه وهو ينفث دخان سيجاره

أحضر أحمد الأوراق المطلوبة وأشار لخالد على مكان التوقيع، وأتم الصفقة بحضور محامي المشتري الذي أناب عنه في الشراء.

- مبروك عليك ياخالد باشا البيع وأتمنى نتعاون مع بعض تاني.
- مبروك عليكم أنتم البيت أنا لولا عايز أخلص منه كنت طلبت مبلغ أعلى من كده وأنت عارف إنه يستحق.
- تتعوض مرة تانية ياخالد باشا وأتمنى مايكون في أي مشاكل من جهة الهانم بخصوص البيع.
- اتطمن يامجدي بيه أنا معايا توكيل والبيع قانوني وهي سبق وأخدت اللي يهمها من البيت ده.
- غادر المحامي مجدي الهواري بعد إتمام صفقة موكله بنجاح.
- خالد بيه... حابب ألفت نظرك لحاجة. هتسمح لي أتكلم.
- قول يا أحمد على طول عايز إيه؟
- نجوان هانم ساندت حضرتك كتير وإحنا محتاجينها فياريت بلاش تعاديها.
- نجوان مين اللي هحتاج لها نجوان واجهة، واجهة وبس يا أحمد لكن التخطيط والشغل معايا أنا مفهوم.
- مفهوم حضرتك.

غادر أحمد المكتب وهو متحير في إصدار حكمه على مشاعر خالد تجاه نجوان.

رجع خالد لسنوات مضت من عمره وظل يسأل نفسه هل يحب نجوان حقا؟ تذكر مشاعره نحوها وارتباطه بها، ولكنه تذكر أيضا اختلافهما في كل شيئ، المبادئ أسلوب الحياة التفكير، الطموح، وأقنع نفسه أنها هي التي لم تحاول أبدًا فهمه ومساعدته على تقريب المسافات البعيدة بينهما .

كانت نجوان تمشط شعرها المنسدل على ظهرها لتلحظ شعيرات بيض صغيرة ابتسمت في سخرية حين رأتها.

- أحنا هنكبر سوا ونعجز سوا ويبقى ولادنا وأحفادنا جنبنا هتكوني أسعد واحدة ده وعد مني ليكي يانجوان.

انسابت الدموع دون إرادة منها، وهي تراودها الذكريات لتجد أن الواقع خالف كل الوعود.

- ماما... انتي بخير؟!
- لبني..! انتبهي وانتي بتقولي الكلمة دي ليسمعك فاهمة.
- حاضر أنا بس قلقت عليكِ وهند هتموت من خوفها عليكِ إحنا دنيتنا انتِ وبس.

- ماتخافوش عليا أنا نسيت الضعف من زمن فات زمن ماتت فيه واحدة كان اسمها نجوان. انزلي دلوقتي قبل مايوصل.

ما إن نزلت لبنى حتى وجدته يصعد السلالم لم يلق عليها تحية المساء، وصعد في عجالة للغرفة التي ما إن فتحها حتى وجد نجوان بكامل جمالها وهيئتها.

- يااااااه إيه الجمال ده. وأنا اللي كنت خايف تكوني مخصماني.

تقدمت منه نجوان بنعومة أفعى تخلع عنه معطفه وتلامس رقبته بأطراف أناملها وتقبل شفتاه.

- خصام إيه.. إحنا أتفقنا عايزين طفل هينفع نتخاصم إزاي وبعدين أنت النهارده خلتني أترقى وأكون رئيسة المجموعة تفتكر دي حاجة ينفع أخاصمك علشانها.
- أنا كنت فاكر إنك رافضة الشغل ده.
- حبيبي كلمة الرفض معاك صعبة وأنا أتعودت معاك أوافق حتى لو متضايق عليك تقنعني.

انسحبت من بين يديه؛ لتصب له كأس تناولها وهو لايصدق مدى تعلقه بها برغم تعدد علاقاته على مدار زواجهما نولكنها لها دومًا سحر خاص يؤثر عليه.

مضي الزوجان ليلتهما في سعادة اصطنعتها نجوان .

في الصباح الباكر وعلى مائدة الأفطار:.

- إيه ده شوف ياخالد قبضوا على اللي قتل رانيا.
- فين؟؟ بجد. هاتي اشوف التفاصيل... معقول اللي قتلها واحد هي كانت على علاقة معاه! مش معقول.
- إيه وليه مش مصدق. عادي ولا فاكر لإنها كانت تعرفك يبقى مافيش حد تاني في حياتها ويمكن عرف بموضوع علاقتكم فقتلها من باب الغيرة.
- ممكن فعلاً اللي بتقوليه لكن يفضل موضوع إزازة الخمرة اللي عندها أنا مش فاكر إني إديتها أي حاجة.
- ده لإنك بتشرب بشراهة زي زمان ومش راضي تخلي بالك.. فاكر زمان سبب دخولك المصحة اللي أنت بتقول عليها مصحة وهي أكبر مركز عالمي لعلاج إدمان الكحوليات وكانت على أعلى

مستوى. ما كان علشان فيه فترة اختلط عليك فيها كل شئ الواقع بالخيال.

- نجوان أنا مش بحب أفتكر الموضوع ده ولمصلحتك ماتفتحوش تاني وموضوع الشرب ده يخصني والخامورجي اللي انتي تعبتي معاه هو صاحب الملايين اللي بتملكيها دلوقتي.
- تقصد اللي أنت بتملكها. أنا فاكرة كويس جدا إنك جبرتني على إني أعملك توكيل عام.
- ده لإنك غير مؤهلة ياحبيبتي بشهادة مستشفى حكومي في فرنسا.
- ومين السبب ياخالد في الشهادة دي مين اللي بسببه دخلت مصحة حكومية بأمر من المحكمة وأدعيت جنوني واضطرابي..... مش أنت شهادتك ضدي في المحكمة وخوفك من إنك تقول كلمة الحق وتشهد إن الشيخ منصور هو اللي حاول يغتصبني وإن قتلي له كان دفاع عن النفس مش لمجرد إني بشوف خيالات وباخد مهدئات خوفك من نفوذ أسرته وسطوتها خلاك تحمي سمعته وتشهد ضدي.

هنا لم ينطق خالد بكلمة، وغادر الحديقة بعدما دفع المائدة بقدمه نحوها في غضب ثم انصرف.

قاد خالد بجنون وهو يشعر بمخاوف من نجوان التي لم تنس شيئًا مما فعله قديمًا بها، ولكنه أيضا متحير من موقفها هل مازالت تشعر نحوه بأي عاطفه وتصرفاتها معه كاد يصطدم أكثر من مرة من كثرة مالعبت برأسه الظنون.

ما إن وصل للمجموعة حتى وجد مجموعة من الظباط بانتظاره للقبض عليه ووسط دهشة الجميع تم إلقاء القبض عليه...

وسط دهشة الجميع تم القبض على خالد كادت الصدمة تودي بحياته للحظات ظنَّ نفسه يعيش كابوس حقيقي في لحظة وصوله كانت قوات الشرطة تنتظره للقبض عليه، ووجد أحمد يردد على مسامعه كلمات تواسيه.

- ماتقلفش ياخالد بيه المحامي هيكون معاك نجوان هانم بلغته لإن البوليس راح على القصر الأول وهو بينصحك ماتتكلمش وهو هيحضر معاك التحقيقات.

نظرات خالد كانت تتابع مايحدث في رعب وهو يرى بعض الصحفيين يلتقطون له الصور والأمناء يدفعون به لعربة الشرطة وكل من بالشركة تجمهر بالخارج يتابع مايحدث في صمت وذهول وشك، ويبقى السؤال يدور هل قتلها حقاا؟؟؟؟.

وصلت نجوان للشركة وهي تختبئ خلف نظارة سوداء كبيرة تخفي ملامح وجهها؛ تجنبًا لكاميرات الصحافة الفضولية.

- نجوان هانم الحمد لله إنك وصلتي بالسلامة هنعمل إيه في المصيبة دي؟
- مش عارفه يا أحمد أنا كنت عايزة أحضر التحقيق لكن المحامي قال ده مش من حقي وقال إن وجودي هناك هيطمع الصحافة الصفرا في تلفيق أخبار وصور والموضوع هيتحول لرأي عام.

إنهارت نجوان وهي تنطق بكلماتها بالبكاء أمام حشد الموظفين وهي تصرخ خالد مايقتلش، خرج الجميع احتراما لمشاعر الزوجة المحبة المكلومة.

- أحسن لك ياخالد تقول سلطته على قتلها ليه؟ الإنكار مش هيفيدك.

- هو مين ده يافندم؟ وأقتلها ليه أصلا اللي بينا شغل هقتلها ليه؟ أنا هتجنن من كلام حضرتك وبعدين الجرايد النهاردة كانت كاتبة إنكم قبضتم على القاتل.
- صح ياخالد قبضنا عليه وشهد ضدك غير كلامه قدام النيابة اللي هي إحنا وقال إنك دفعت له علشان تقتلها.
- أنا... أنا... وليه هعمل كده؟
- عرفنا أنت السبب ده اللي إحنا منتظرين نسمعه.
- بالنيابة عن موكلي إحنا بنرفض الاتهامات دي شكلًا وموضوعًا طالما مافيش دليل وأكيد مجرم زي ده عايز يشوه سمعة موكلي. بطالب بمواجهة الشاهد
- أمرنا نحن أحمد عبد العزيز باحضار المتهم إبراهيم مجدي من محبسه لمواجهته بالمتهم الثاني.

مرت نصف ساعة بثقل مرير على خالد وهو تجول في رأسه كل الظنون والأسئلة.... وبدأت دقات قلبه تزداد ويشعر باضطراب في تنفسه وضاق صدره عليه مين ده؟ وليه بيورطني معاه؟ وياترى هو اللي سرق الإزازة من القصر وليه خطط لكل ده؟؟؟

أمسك خالد برأسه فقد كاد الصداع يفتك بها وحاجة جسده لتناول الخمر كادت تجعله ينفجر غضبا بالوجوه من حوله، وأخيرًا وصل إبراهيم مجدي رجل في الثلاثين من عمره لا يبدو عليه الإجرام مطلاً بل كان يبدو متعلمًا رزين برغم لحيته غير المهذبه وملابسه العاديه التي توضح أنه من متوسطي الحال.

- إبراهيم الرجل اللي أتفق معاك على قتل رانيا موجود هنا معانا؟

أشار أبراهيم على خالد كرد على سؤال وكيل النيابة. هنا أنفجر خالد ولم يسيطر على أعصابه وحاول التهجم على إبراهيم بكلتا يديه.

- أنا سلطتك أنت مجنون أنت ابن حرام مين مسلطك عليا؟

منعه العساكر من هجومه وحاولوا السيطرة عليه ولكن نوبة غضب عارمة كانت قد أجتاحته وظل يصرخ ويهذي بكلمات غير مفهومه وسقط مغشيا عليه.

أسرع وكيل النيابة في طلب الأسعاف التي نقلت خالد في الحال للمستشفى

- ألـووو نجـوان هـانم أنـا أسـف أبلغـك إن خالـد باشـا انهـار في النيابة بعد مواجهته بالقاتل وتم نقله للمستشفى تحت إشراف البوليس.
- إيه بتقول إيه يامتر خالد! خالد حصله إيه فين مكانه؟

أغلقـت الهـاتف وصحبت أحمـد مسـرعة متوجهـة للمستشـفى وهنـاك وجدت خالد تحت الحراسة يمنع عليها رؤيته.

- دكتـور أرجـوك أنـا مراتـه عـايزة أعـرف إيـه اللي حصـله؟ طمني عليه.
- يـا مـدام هـو بيعـاني مـن إنهيـار عصبي شـديدوالتحاليل أشـارت لزيـادة معـدل الكحـول بجسـمه وده سـاعد على تـدهور حالتـه الجسـدية قلبـه في حالـة خطرة جدا وحالتـه النفسـية متـدهورة لدرجة كبيرة هو لما وصل المستشـفى كان دخل كمان في حالة من الهلوسـة وعـدم الأتـزان. أنـا في انتظـار نتيجـة تحاليـل الـدم جلست نجوان على الكرسي وهي تخفي وجهها بين يديها وهي تردد.
- أكيد الحالة رجعت له من فترة وأنا اللي مالاحظت ولا انتبهت دي غلطتي أنا دي غلطتي أنا.

جلست نجوان لساعات دون حراك ومُنعِت من رؤيته، وطلب منها الطبيب المغادرة والعودة في الغد لربما تحسنت حالته واستطاعت رؤيته، عادت نجوان للمنزل بصحبة أحمد تركته بصحبة الفتيات، وتوجهت لغرفة المكتب وطلبت من الجميع عدم إزعاجها... أغلقت باب الغرفة وهي تخفي نظراتها عنهم وذهبت للنافذة؛ تتأمل ذلك التمثال بالحديقة والذي كان يجسد رجل وامرأة في وضع عناق وكلا منهما يخفي سكينًا خلف ظهره يقطر دمًا وأيدي كلا منهما تنزف، ظلت تتأمله وتبكي دون صوت مجرد أنهار دموع منسابة على الوجنتين سمعت رنين هاتف كانت تنتظره منذ أمدٍ بعيد.

- ألبير، وصلت بالسلامة محتجاك جنبي ياصديقي كل قواي بتنهار كل شيئ تم أسرع مما دبرت له لكن خايفة تخوني شجاعتي في النهاية، تعالى بسرعة على القصر محتاجة وجودك معايا في اللحظات الأخيرة.

أغلقت الهاتف وتوجهت للمكتبة لتخرج إحدى كتب والدها، وتخرج من داخله دفتر يوميات وذكريات والدها وأعادت قراءتها للمرة العشرين كادت أن تمزقه بغيظ وسط تأوهات خرجت مصحوبة بصرخات عالية.

- ماما ماما مالك إهدي خلاص كله هيعدي إحنا كلنا جنبك أنا وهند وأحمد خلاص ياماما هترتاحي.

كانت لبنى تمسح دموع نجوان وتقبل يداها وأسرع أحمد لإفراغ الماء في كأس لتشرب منه وأحضرت لها هند الدواء...

- أنا هتماسك علشانكم لإن ده حقكم عندي وهكمل لإن ده أختياري... بحبكم جدااا وجودكم عوضني عن كل شئ دق جرس الباب؛ ليظهر ألبير على أعتاب القصر رجل يبدو في الستين من عمره برغم كونه في نهايات العقد الأربعين، يجيد العربية بلكْنة غربية يحمل حقيبة سفر صغيرة تكفي احتياجات رحَّال متنقل ما إن رأته نجوان حتى ألقت بنفسها في أحضانه، وأجهشت في البكاء رفع وجهها لوجهه:
- صديقتي ياذات الوجه الملائكي حتى الملائكة إن سكنوا الأرض تلوثهم الخطيئة.

قبَّلها من جبينها وطلب من الفتيات تحضير أعشاب البابونج لها لتُهدِئ من روعها، دخلا سويًّا لغرفة الضيافة جلست أمامه على الأرض وهي تضع رأسها على قدمه وظل يمسح على شعرها.

- صغيرتي تذكرتي الآن مقولتي لكِ الانتقام خنجر ليس له مقبض ما إن نمسك به حتى ننزف نحن أيضا.
- أنا مش بحبه يا ألبير ولا زعلانة عليه أنا زعلانة على نفسي؛ لأنه قدر يغيرني بقيت شبهه في كل شيئ حتى غول الشر اللي جواه سكني.
- لأ ياصغيرتي بدليل دموعك البريئة الكارهة لما وصل له الأمر، ولكنْ للأسف يجب أن نكمل مابدأنا...

مضت نجوان ليلتها تتحدث وألبير يصغي ويجيب، حتى لاح الصباح من جديد تهيأت هي والفتيات للذهاب للمستشفى بصحبة أحمد، ولكنها كانت أقوى تبدَّل حالها من ضعف لقوة خُلقِت بعيونها نظرة إصرار على إكمال مابدأت.

- صباح الخير يادكتور حالة خالد إيه النهاردة؟ وهل مسموح نشوفه؟
- يؤسفني ياهانم أبلغك إنه من التحاليل واستكمال الكشف عليه تبين إصابته بتسمم الكحول وهو في مرحلة خطيرة قلبه مش هيتحمل أي ضغط أكبر من كده توقعات الوفاة عالية جدًا؛ لإنه كمان كان بيخلط الكحول بمواد مخدرة ومهدئة واعتقد إن

ده سبب من أسباب فقدانه للإدراك في بعض الأحيان وده رأيي كطبيب.

هسمح لحضرتك بالزيارة لأني بعتبرها زيارة وداع بس ياريت بلاش كلام نهائي.

- أكيد يادكتور..
- نطقها الجميع وضميرهم يشهد بكذبهم
- دخلت نجوان والفتيات وأحمد الحجرة وأغلقوا الباب، ودخل معهم ألبير ولكنه وقف صامتًا في إحدى أركان الغرفة
- جاء فقط ليساند نجوان..
- نظرات خالد كانت تَرْقُب الجميع وكأنه يتسائل عن سر حضورهم جميعًا، ولكنه لم يستطع الكلام لوجود جهاز التنفس

جلست نجوان بهدوء وبدأت في توضيح كل شيء.

- عارف ياخالد الموقف ده لو كان حصل من عشر أو تسع سنين كنت هتلاقيني منهارة ببكي جنبك وببوس إيديك وبدعي ربنا يقومك بالسلامة، لكن للأسف دلوقتي مش هينفع أعمل كده لإن اللي أنت فيه من صنع تفكيري... قبل ما أبدأ في الشرح

أعرفك بالناس اللي اتعاملت معاهم شهور على إنهم أحمد مدير أعمالـــك ولبنـــي وهنـــد الأختـــين اللـــي بيخـــدمونا.... لأ أحمـد ولبنى همـا ولاد صـديقك العزيـز زيـن العابـدين، فـاكره الرجـل الجـدع اللي خـدمك في فرنسـا بقلبـه وشـاركك بفلوسـه وأنقـذني هـو ومراتـه من الموت على إيديك أكتر من مرة لما كنت بتضربني وأنت سكران ،وبسبب الضرب أجهضت أربع مرات دول ولاد الرجـل اللي مـات بحسـرته شـاب يمـوت بأزمـة قلبيـة بسـبب خيانـة صـديقه ليـه، خسـرته كل فلوسـه في مضـاربتك للبورصـة بالاتفـاق مع الشـيخ خونـت صـديقك وأعلـن بسـبب لعبك القـذر إفلاسـه وبعـد مامـات مـافكرتش تـروح تسـاعد مراتـه بفلـوس أو تراعيها هي وابنها. أنا حجزت لها ونزلتها مصر هي وأحمد وكانت حامل في لبني،

وقعدت عند أهلي اللي ماصدقوش إنها من طرفي لإنهم مايعرفوش مكاني وده اللي عرفته من أمي اللي بكت بالدموع في التليفون وقالت إن والدك ماوصلش أي رسـالة مني لـيهم، وإن والـدي راح وسـأله عنا طرده من بيته وقالـه بـالنص بنتـك فـاجرة دوَّر عليها في حتـه تانيـة أبويـا بسـببك فضـل مـريض ومشـلول ولمَّا عرفـت إنـه بيمـوت طلبـت منـك أنـزل أشـوفه لكنـك

رفضت أسافر وخبيت منى الأوراق اللي تسمح لي بالسفر بلغتني خديجة بموت والدي وبعده أمي وعاشت هي تربي أحمد وبنتها لبنى اللي ولدتها على إيد أمي، ولمَّا أكتشفت إصابتها بالسرطان طلبت منها تيجي فرنسا وهناك أخدت لها بيت وماتت بعد شهور وربيت أنا أحمد ولبنى ولادي وجوزت أحمد لهند في فرنسا، بنت يتيمة كانت في الملجأ اللي تابع للجامع اللي كنت بروح اتبرع له من وراك، ويوم ماعرفت أرغمتني أعملك توكيل وحساب مشترك علشان تراقب كل حساباتي، وبعد مادخلت المصحة بفضل شهادتك الزور منعوني من التصرف في فلوسي، وده ألبير صديقي اللي كلمتك عنه مرة لكن ماكنتش تعرف إنه كان معايا بالمصحة ومنعني من الانتحار لأني من كتر الأدوية والحقن كنت بدأت أصدق إني مجنونه، رجع لي إيماني بنفسي في الوقت اللي حضرتك كنت بتعمل فيه ثروة، وبتخوني مع كل واحدة تشوفها، عارف إيه أكتر حاجة قضت على اللي بنا لماحاولت أدخلك المصحة تتعالج وأقف جنبك وخرجت منها وأنت لسه بتشرب وبسبب تهورك وعصبيتك عملت الحادثه الأخيرة اللي بسببها استأصل الدكتور الرحم مني لأنه أدمر، حرمتني من حلم الأمومة نهائي هنا انقطع كل خيط بينك وبيني، ورتبت لنزول الأولاد مصر وخططت إن أحمد يمسك فرع الشركه هناك وبفلوس والدي وصلت أحمد للمنصب

اللي أخده في الشركة وطلبت منك ننزل مصر؛ علشان أدفنك فيها بالحيا كنت بحلم بس أدخلك الخانكة هنا بتهمة ارتكاب جريمة تحت تأثير الجنون لكن الظروف خدمتني أكتر مما بتمنى، كنت بخلط لك الكحول بالمخدرات والمهدئات وأتلاعب بكل حاجة بتدور في راسك، مش هنكر مرات كتير كنت بحس بحنين لك وأتمنى أوقف انتقامي لكن كل ما أفتح مذاكرات أبويا وأشوف الوجع اللي أنت زرعته جواه وافتكر زين العابدين وولادي اللي ماتوا على إيديك وبيعك لجسمي للشيخ ولمَّا قاومت دخلتني المصحة بتهمة الجنون، وخيانتك ليا حتى في مصر مع ست رانيا اللي كنت ناوي تبعني تاني وتتجوزها لإنها واجهة وعلاقات، كل كلمة كانت بتدور بينكم كنت بسمعها وبسجلها حتى علاقتكم بشقتها وعرفت بإن إبراهيم مجدي بيحبها على مراته وصارف كل فلوسه عليها وإنها كانا معشماه بالجواز .. كل اللي عملته حركت المفاتيح فرجته الفيديوهات وعرفته طينتها إيه وهو كان زيك خمورجي رمرام أهديناه إزازة الخمرة من مخزنك وعليها بصماتك ويوم الحفلة نفذ جريمته ولمَّا وقع في إيد الشرطة بعت له أحمد بشيك مكون من خمس أرقام عليه أمضتك الكريمة وطلبنا منه يورطك في الجريمة معاه وينتقم منك، والفلوس تاخدها مراته وعياله تعويض ووعدناه بمحامي يخفف عنه الإعدام... أما بيت أبويا اللي

افتكرت إنك بعته أنت بعته لأحمد ولبنى والفلوس كانت من حسابك الخاص، أنا سحبتها دفعها المحامي لك قدام أحمد ورجعت لحسابك تاني وعلشان حقدك عمرك مادورت على مين المشتري ولا الفلوس ...
حاول خالد نزع الأجهزة من عليه، وحاول مرارًا وتكرارًا تجميع قواه ليمسك بها وزاد غضبه وضاق نفسه وبدأت الأجهزة في إعلان حالة الطوارئ..

تدافع الاطباء والممرضات للداخل في محاولة منهم لإنقاذه ولكنه سرعان مافارق الحياة.

خرجت نجوان وهي تنظر ليديها في ذهول وترتجف...

- دمه على إيدي ياألبير شايفه دمه على إيدي..
- نجوان فوقي ده في خيالك وبعدين مش شايفه إنه لأول مرة إديكِ مايكونش عليها دمك دم الزهرة الرقيقة، المرة دي دماء الزهرة هي دماء مَن أمسك بشوكها التف أحمد ولبنى وهند حولها واصطحبوها للسيارة ومعهم ألبير تاركين خالد في مرقده الأخير ...

أغلقت الكتاب نظرت للجميع نظرة سريعة.

أطبق الصمت على الجميع، وكانت الانظار متبادلة وكأنهم يطلبون العون سرًا

من بعضهم البعض يتساءلون فيما بينهم هل شفينا حقًا؟! لقد مست الروايات الأربعة أوتار مقطوعة بأفئدة البعض وذكَّرت البعض الأخر بأفعاله .

تُرى هل سيتمكنون من كتابة انطباعهم بصدق معلنين فشلهم في الشفاء، فالجرح غائر الكل تأذى أو تسبب في الأذى بسبب الانجراف خلف المشاعر المزيفة والتمسك بطيف جميل كانوا يظنوه الحب، وبعض الظن إثم وبعض المشاعر لبست كذبًا ثوب الحب فارتكبوا جرائمهم في حق أنفسهم بمحاولات الانتحار والدخول في نوبات الاكتئاب؛ بسبب كذبة والبعض الأخر اعتمد أذية الطرف الأخر شريكه في حلم وهمي، فعمد لبناء جسد غير مكتمل بساق عرجاء، وجوههم توحي أكثر مما تُفصح وإن أفصحت فسوف تكشف لنا رويدًا عن مفردات الحكاية، وتكشف عن عِظَم مأساة الظرف الإنساني، حين يقع القلب في القبر المظلم فيصطحب معه العقل للهُوَة فنراه تنكسر أظافره وهو يحاول الخروج للحياة مرة أخرى.

تـرك الجميـع الأوراق خاليـة وتوجهـوا لمهـاجعهم؛ يعيـدون حسـاباتهم والبعض بالفعل نجح في النجاة من براثن الماضي والبعض الأخر سقط في الهُوَة الى الأبد.

انتهى تقرير الجلسة رقم ٢٠

إمضاء/د.هدى الوزان.

جمعـت مـاتبقى منهـا وأمسـكت حقيبتهـا؛ لتعـود للحيـاة خـارج أسـوار المصحة، ففي كل جلسـة كهذه تتشـتت نظرياتها لتجتمع مع أول فنجان قهـوة تحتسـيه في منزلها وهي تجلس بجـوار نافـذتها على مقعـدها الـوثير تسجل صوتيًا تقيمها لكل حالة عاصرتها لشهور أو لأسابيع وهي تحاول الأخذ بيدها لأول الطريق.

قد تكون في حاجة لمشكاة؛ لتنير لك الطريق وقد تكون أنت المشكاة لأخر في الحيـاة الكل يتبـادل الأدوار، وربمـا ذات يـوم يثقـل كاهلي بمـا أحمـل فاحتـاج للعـون من أحـدهم وحتى هـذا اليـوم سـأظل على عهـدي بقيـادة المركب لالتقاط النجاة والخروج بهم سالمين.

تمت بحمد الله

حروف من نور

١٠ برج الاشراف شارع الهداية المريوطية فيصل الجيزة

"جمهورية مصر العربية"

الايميل yavinour@gmail.com

ت/ ٠١٠٠٨٢٨٩٦٦٧ (٠٠٢)